بقايا "زبيدَة"
الراسب بالفنجان؟!

Disclosure

بقايا "زبيدَة" الراسب بالفنجان؟!
Disclosure

رواية

تأليف
أشرف توفيق

الراسب بالفنجان؟!
Disclosure

الفن القادم هو الرواية القصيرة!

صبحي فحماوي
قاص أردني

لا زلت أذكر قصة غنائية لفيروز والرحابنة تقول:

"تجي هيك البنت،

من بيتها العتيق،

ويقولها انطريني،

تنطر عالطريق،

ويروح وينساها،

وتتبلّ بالشتي...."

هذه القصة من أجمل القصص التي سمعتها في حياتي، وهي التي جعلتني فى عشق بفن القصة القصيرة، وأعشق قراءة الجميل منها، حتى تراكم لديّ مخزون هائلٌ من القصص، التي جعلت ذاتي تطفح بها، فتتدفق بكتابة فن القصة القصيرة.ولعل أهم أستاذ عملاق تعلمت منه فن القصة القصيرة هو الكبير "رشاد رشدي"، الذي عرّفني على أن "القصة هي بؤرة جمالية لحدث يتم في مكان محدد، وخلال زمان محدد، وتقدم فكرة محددة، وبذلك فهي تحافظ على وحدة الزمان والمكان والحدث."

والحكاية هي روح القصة القصيرة، وبؤرتها، التي تشع من داخلها معالم القصة وحيثياتها، والتي عليها تُحمّل الفكرة المقصودة. وإن أية قصة تخلو من الحكاية، لا تعدو كونها جسداً بلا روح.صحيح أن القصة المتمتعة بهذه المواصفات صارت تتحايل على

الزمان والمكان، فيشطح بها السارد أو القاص، شطحات خيالية أو واقعية، أو بهما معاً، لتعزيز غموض الأدب الواقعي السحري الجميل، فيخرج عن إطار المكان والزمان المحددين، ولكنه يبقى يقدم هذه الصور المتباعدة، بينما إطار القصة ما يزال يراوح مكانه في الزمان والمكان المحددين، لدرجة أن حدث القصة قد يعود في نهايتها، ليُثبّت أقدامه في الموقع الذي ابتدأ منه. وحيث أنني أكتب القصة والرواية – خمس مجموعات قصص، وسبع روايات حتى الآن- فلقد سألني البعض عن الفرق بينهما ؟!

فقلت : (بينما تكون القصة القصيرة الرومانسية زهرة، فإن الرواية هي حديقة متكاملة الأزهار والنباتات، وإذا كانت القصة البوليسية طلقة، فإن الرواية الأيدولوجية معركة مترامية الأطراف، وإذا كانت القصة القصيرة صورة، فإن الرواية فيلم سينمائي أو مسلسل تلفازي، وإذا كانت القصة الجميلة شطيرة لذيذة، فإن الرواية الممتعة وليمة كبيرة، وإذا كانت القصة القصيرة محدودة بزمان ومكان وحدث واحد، وقليلة الشخصيات، فإن الرواية مفتوحة "الزمكان" اقصد المكان والزمان معاً، ومتعددة الشخصيات،وإذا كانت القصة محدودة بقضية أو فكرة، أوبجماليات صورة واحدة، فإن الرواية تجمع بداخلها عدداً كبيراً من القصص الجميلة)

ولكن الوقت المتاح للقارئ، هو الذي يجعله يفاضل بين قراءة قصة أو رواية. وتحت هذا المفهوم فإنني وحسب الوقت المتاح لي، لا أفرّق بين قراءة قصة فنية تشبه شطيرة شهية، أو قراءة رواية مُعبِّرة تشبه وليمة كبيرة ممتعة، ما دمت أشتهي الثقافة الفنية الجمالية المدهشة، والملتزمة بالقضايا الإنسانية، والتي تواجه التحديات التي تجابه الوطن، فتصورها خير تصوير، وتفتح حولها أسئلة، تنبه القارىء، بدل أن تبحث لها عن حلول جاهزة، تجعل القارىء يعرف الحل، فيطمئن وينام، تلك التي تفتح عليّ أبواب المعرفة، وتنبهني لقضايا نابضة وحساسة مَخفيّة في الزوايا المعتمة، والتي لا يراها أحد غير الكاتب المبدع المفكر النبيه، القائد فنياً.. وكثيراً ما أقتطع قصة من جحيم رواية سابقة لي، فأقرأها منفصلة وأحاول نشرها بصفتها قصة منفصلة، وذلك لأؤكد أن الرواية هي مجموعة قصص مترادفة، يحكمها طريق واحد، أو عمود فقري واحد، لجسد جمالي متكامل..ونتيجة لهذا الخروج على إطار القصة القصيرة، بسبب تشعب قضايا الحياة وتعقيدها، فأعتقد أن الفن القادم هو "الرواية القصيرة" بدل "القصة القصيرة"،

أمامنا قصة قصيرة كتبها: أشرف توفيق تمدّدت وتشعبت أزمانها وأماكنها وقضاياها بعدسة الروائي،ورسوماته عنها بالكلمات فصنعت "رواية قصيرة ملهمة ومثيرة" ،تلقى بظلالها على مايشبه وحى السيرة الذاتية؟! ولكن سكت السارد وتوقف عن الحكى بدلاً من إكمال رواية موسوعية طويلة ؟! هذه اسطورة الفن ووقت الفن الذى لايعط إلا بقدر؟ ولذا تنتهى الحكايات قصيرة كقصة،أو طويلة كرواية، أو بين ..بين كرواية قصيرة . كل هذه القماشة الروائية الواسعة،لم يبق منها فى قاع فنجان الذاكرة المحوج إلا زبيدة "المرأة المغربية" غريبة الأطوار أو المنفلتة من النص كما يقول الكاتب فى المتن؟!،

فمتى يأت ميعاد قارئة الفنجان العرافة التى تحكى اسرار بقايا البن الراسب فى الفنجان؟! فإذا كان من الحصافة اعطاء مساحة لخيال القارىء فى العمل الآدبى فأعتقد أن هذه المساحة صارت ضعف العمل المكتوب ذاته فيكون السؤال الفلسفى من يكتب العمل - الروائى أم قارىء الرواية؟!

ولذا بعد استمتاعى بالعمل عرضت على صاحبه تغيير العنوان من: بقايا البن الراسب بالفنجان – إلى: بقايا زبيدة الراسب فى الفنجان؟! وقد وجدت أن هذا يعدل فنياً،ومنطقياً فى ترهل بالعنوان لم يشمله النص.

الفصل الأول

١

أَشْعُرُ فِي قِلَّةِ الْمِصْرِيِّين بِغُرْبَة وَتَوَتُّرٍ.لَكِنِّي تَذَكَّرْتُهَا فَشَعَرْتُ براحَة لا أعرف مَصْدَرَها ،كان وجودُها معي يجعلني أتحَدَّي غُمُوضَ الأماكن جمعتني بها دراسَةُ القانون، بعد أن سيطر القانونُ الْفرنْسي على منطقتنا بما يُعْرفُ - بالقُوَّةِ النَّاعِمَة - قَدَرٌ نَاعِمُ الخُطَى يمشى ملكا !جمعتْنا قليلا قاعات الدَّرس وكثيرًا الصُّدَف !! أنا فِي مِنحَةٍ دراسيَّة قصيرَة أبحث عن صحيح النَّص الْقانونيِّ (ظاهِره وباطنه) وهي مغربية فِي دراسَة مُعَادِلَة لِتَعملَ كَمحاميَّة بفرنسا.

هِيَ تبحث عن مكامِنِ ضَعْفِ النَّصِّ وأنا أُقَدِّس النَّص ولا أَخرُج عليه بِحُجَّةِ ضَمَان النِّظام واستمرار حركَة المجتمع وهِيَ تتحايل عليه، تلاعِبُه لا مانع عندها من الإفْلات من قسوته، فهِيَ لها أيضًا مصالحُها،والغريبُ أنَّ النَّص يسعُنا ويعطِينا ولا يتملْمَل! ولسْنا إلا وَسَائِل لِيُجْرِيَ الْقَدرُ المشيئَةَ - مَنْ يُدانُ ومَن يُفلتُ.؟!

منذ لقائنا الأول ..هل تتذكرى لقاء نا الأول؟! كنتُ أرتدى حسرة أمنيات تزورني دوما فى الخريف وكنتِ ترتدي لون البحر،شئ ما دفعني إليك كم من المرات استدرجتني الانطباعات الأولى الى ما لم أتوقعه أو أتخيله لكنني لا أتعلم وأطيع ما تنبئني به انطباعاتي الأولى.فجرتى حب فضولي وأيقظتى فىُ الرعشات التى تهز؟! دخلنا لبعضنا برضا واتفاق وكانك كنتِ تنتظرنيى على موعد ولقاء..ولكنك كنت مسافرة دوما بحقيبة سوداء مغلقة بها أوراق وقلم ومستعدة دوما لإجراء عمليات حبريه للقلوب المفتوحة بوجع الغواية. وتذكرة سفر واحدة بالرجوع ؟!

منذ حضوري لجامعَة ليون احتوتني وكأَنَّهَا فِي الانتظار، كانت وحيدَة "مقاطعة"من الدارسين الْعرب، لأنها لا تضع حاجزا بينها وبين الدارسين اليهود ؟! دخلت إليها، حنينها كساني جنونا،فسرت لي موقفها الْمختلف؟!

قالت بعبارَة واحدة : كلنا دارسين لا فرق بين جنس أو عقيدَة أو جِنْسِيَّة لسنا محاربين؟!.ثم أوضحت التّفسير" الفرانكفونى" (لليهود فِي فاس حيهم الخاص وللوصول من بيتنا إليهم لا بد من نصف ساعَة بالتّمام واليهود يشبهون سائر النَّاس فِي ثيابهم الطويلَة الشّبيهَة بجلابياتنا وهم يضعون قبعات بدلا من الْعمائم وهذا كل شيء وهم منصرفون إِلَى أعمالهم ويلزمون حيهم ومنظمون جدا وإحساسهم بالطائفَة أكثر نموا من إحساسنا، يصنعون حليا بديعَة!! وتصنع النِّساء محفوظات من الخضار بالخل وقد حاولت أمي أن تفعل مثل ذَلِكَ بالْكوسا والخيار والْباذنجان الصَّغِير لكنها لم تنجح قط !!

أتعرف كيف وصلوا إلينا فِي مراكش.ومتى؟ كان ذَلِكَ أثناء احتلال أسبانيا حول الأمويون الأندلس إلى جنَة وارفَة الظلال وبنوا قرطبَة وأشبيلية.ولحق اليهود بهم. لماذا وكيف؟!لا أعرف قد يَكُون السبب الرَّئيسي أن الأمويين الْمسلمين عصبَة من محبي الْفرح، الخلي الْبال، والذين تلهوا ببناء قصر خرافي يسمى"الْحمراء"، قضى الْعرب فِي الأندلس سبعمائَة عام وهم يلهون بتلاوَة الشّعر وملاحظَة النَّجوم فِي حدائقهم وكانوا متسامحين إلى حد أنّه لم يكن يعرف ما ديانَة الْجار؟ وكان النَّاس يُغَيِّرون عقائدهم كما يغيِّرون قُفْطَاناتهم! ويوما استفاق الأطلس الْعربي لنراهم يغدون علينا بالْمئات الْعرب واليهود وهم يصرخون من الخوف ومفتاح بيتهم الأندلسي بيدهم؟! كانت تطاردهم ملكَة مسيحية متوحشَة خارجَة رأسا من الثلج اسمها "إيزابيل" لقد ركلتهم ركلَة حقيقية وقالت لهم: إما أن تصلوا مثلنا وإما أن نرميكم فِي الْبحر؟لكنها فِي الْواقع لم تترك لهم وقتا ليجيبوا!! وألقى جنودها جميع النَّاس فِي الْبحر الْمتوسط وسبح الْعرب واليهود حتَّى طنجَة (إلا الذين أتاح لهم الْحظ أن يعثروا على سفينَة) وأسرعوا إِلَى فاس ليختفوا فيها (كل ذَلِكَ قبل أكثر من خمسمائَة عام) إيزابيل الْكاثوليكية طردت الْمسلمين مَعَ اليهود لأنهم لا يصلون بالطريقَة الَّتِي تصلي بها ؟.أتريدني أن أفعل ما فعلتْه "إيزابيل"؟!

قلت: ليس مابيننا وبين الإسرائليين (الدين) أو كيف نصلى وإنما ارض وعرض، وجهاد، ودم كثير لشهداء،عاشوا معنا وكم احببناهم.

قالت: ومتى ينتهى ميراث الكراهية؟!

قلت: بالأتفاق على الحقوق،والحدود،والأمن،والامان

قالت: ماجاء به السادات العظيم ،لم يعجب العرب!

ما أوجع الشّهوَة الَّتِي يواجهها أكثر من مستحيل،وأكثر من مبدأ وأكثر من خلاف فلا يزيدها ذَلِكَ فِي النَّهاية،إلا .. الاشتهاء! فكيف احترمت خلافنا ؟عقلين متوازيين فكيف حدث التّماس بين الْقلوب؟ أكان ما بيننا زلَّة قدم. أم زلَّة قدر؟! ففى ١٦ / ٤ / ٩٣ فِي يوم مطير، كان يومي الْعاشر فِي الْغربَة ووجدت لديها الشّمْس الدافئَة، فِي هَذَا اليوم عبر الْفرنسيون فِي (الْميديا) بانزعاج عن ماقام به الشّهيد الفلسطيني(ساهرحمد الله) بقيادته سيارَة مفخخَة اتجهت صوب مستوطنَة "ميحولا"على بعد ١٥ كم من نهر الأردن، فانفجرت بين حافلتين عسكريتين إسرائيليتين، وأصابت عدد من الْعسكريين، وصف الفرنسون العمل بالإرهاب؟ ففى الوفت الذى غير فيه الفلسطينيون طرق النضال من الطوب للرصاص،كنت اغير طريقتى فى العشق للفرنسية؟وبالطبع كلتا الطريقين وجدا معارضة؟!فكما بدل الشافعى فى فقهه عند نزوله لمصر،بدلت إجتهادات العشق بفرنسا،اليس الأنسان أبن بيئته كما يقول علماء الإجتماع !

أَسْمع رقرقَة الْمِياه الَّتِي كانت بفعل موتور صغير بالحوض.. حوض السمك الْملَوَّن حيث أجلس. سجائري (مينتول) بلونها الأخضر بمكانها على الْمِنْضَدَة بجِوَار شَنْطَتِي الصَّغِيرَة، الَّتِي بِهَا أوراقي والْبسبور. أشعلت واحدَة قلل فخاريَة تخرج منها إضاءَة خافتَة تتلَوَّن بلَوْن جوف الْفُخَّار..تنبَّهْت أثناء الْعَشَاء إِلَى أَنَّ نصف زجاجَة النَّبيذِ على وشك الانتهاء فاسْتعمَلْتُ الْجرس الصَّغِير الْموجود بجوار طفايَة التّبغ لنداء النَّادل،تحرَّكت الكورَة الْمعدنيَّة بداخله بحركة بندوليَّة اصطدمت بالحوافِّ فصَدَرَ صوتٌ أحضر النَّادلَ، وألهب الذكريات.. "علَّمَتْني كيف أُحب النَّبيذَ وكيف أشربه؟! ومتى يكُون أحمر؟! ومتى يَكُون أبيض؟ النبيذ الأحمر مع اللحوم والأبيض مع الأطباق الأخرى. احترمت أني لا أشرب الخمور- ووجدت هوايا فِي فتوى لأبي حنيفَة بعدم تحريم النَّبيذ ؟!"

حيث اقعد، توجد حجرية كبيرة عليها حكاية أسطورة " الكأس المقدسة " أنها الكأس الذي استخدمها يوسف الرامي ليجمع فيها دم المسيح التي تساقطت من جسده على الصليب. دونت الأسطورة في شكل قصيدة غير كاملة عن طريق الكاتب الفرنسي

Chrétien de Troyes) الذي ادعى أنه أخذها من كتاب حقيقي أعطاه له رئيسه الكونت Philip of Flanders.

أشْعُرُ في قِلَّةِ الْمِصْرِيّين بِغُرْبَة وَتَوَتُّرٍ ؟! كويتية محمرة الوجه وكانها خارجة من حمام مغربي مع فتلة الوجه ارتدت بنطالاً فضفاضاً فيه الكثير من الجيوب مع سترة ضخمة تخفي معالم الأنوثة منها،بوصولها لطاولة بجوارى يهللن لها الشابات الجالسات عليها، فى بشاشة وحبور ويبدوعليهن لهفة انتظارشيئا ما ؟!

فتعاجلهن قبل جلوسها فى ابتسامة،بقولها : شريط الزفة ما زال عالقاً،هاانا ذي احطم الرقم القياسي ببلوغى الليلة الرابعة بعد زواجى دون أن يمسسنى العريس؟! "بالأمس ارتديت قميص نومى السكري الذي ارتديته مراراً قبل الزواج في أيام الملكة أمام المرآة في غرفتى، مثيرة به إعجاب والدتى التي تذكر الله خشية الحسد. خرجت من الحمام لاجده نائماً ومع أنى أكاد أجزم بأنه تظاهر بالنوم بعد أن التقت عينانا للحظة خاطفة! إلا أنى صرفت وساوس إبليس"

يضحكن فى دلال ويقلن: لم يمسه بعد جن فرنسا ؟! غيرى لقميص نوم بلون فاقع.. ونصحنها أن تبدأ بالأزرق!

هل تأتى معشوقتى الحلوة ؟! ولكن متى تأتي الصُّدف بما يشتهي الْعناق! وكيف لا.. ونحن فِي فرنسا ؟! ماذا حدث للذُّكور؟! أغلب الْمَناضِد الَّتِي حولها فرنسيَّات بِدُون رجال! حَلَقَاتُ الدُّخَان من فَمِ الْفرنْسيَّات لهاتداعِيَات خَاصَّة،الْفُرجَةُ والْبحْلقَةُ أكثرُ إثَارَة.. الْمَكَان بزُجاجِه الْملَوَّن وبديكوره الْبسِيط يُوحِي كما قُلْت بِأزمنَةٍ أسْطوريَة، كِتَاب كولن ويلسون (جُذورُ الدَّافِع الجنسي) بين يَدَيْ فرنسيَّة فِي الثَّلاثِين يتجسَّد وهِيَ مُستغرِقَة فِي صفحاته تتململ تركَتْ كِتابَها، عَيْناها ترمِيَان من الْمجْهول إلَى الْمجهول!!سيقانها تلقى التحية من جيب قصير لتاييز ازرق،الهذا نصحن العروس بالأزرق!

غلاف مجلَّة لامرأَةٍ عَاريَة فَرَشتْ رَمْلَ الْبحر ونامت والتحفت بالشَّمْس إنَّها نَاعومي عارضَة الأزياء. فأيُّ زِيٍّ تَعْرِضُ وهِيَ "بلبوص"بالبحر على غلاف جريدة،قد يكون العقد الماسى والحلق الطويل؟! مِشْكاوَات متناثرَة هُنَا وهُناك. ضوء أزرق وديع يخرج من نمانم النُّحاس الْموضوعَة بالْمَكَان بتلقائيَّة تُلْقي هُنَا .. وهُنَاكَ .. أنوارًا خَفيفَة مُرْتجفَة وظِلالا شفَّافَة، هُنَاكَ امتِدَاد تلقائيٌّ لِنَظَري ينتهي عند بركَة مُتَّسعَة

تتوسَّط الْمَكَان ذكَّرتْني بيوم غازلتُها من هذا المكان(بأنَّ عيْنَيْها بلَوْن بُحُور الْجنَة استفسرت؟!..كانت عيناها عسليَّة وبالجنَّة بُحَورٌ من عسل، قَهْقَهت وأشارت إِلَى شفتها السفلى هل أجد فيها علامَة خروج آدم من الْجَنَّة؟! لم أفهم ؟! فشرَحتْ لي أنهم فِي الْمغرب يعتبرون(الأشرم) من النِّساء ذات الشفَة الْمشقوقَة، امرأَة ساخِنَة لا تهدأ رغبتها ؟! وأنَّها قامت بعمليَّة تجميل اتِّقَاء للشُّبُهات!! ولكنها تركت ندبَة بشفتها السفلى.

وجدتُ نفْسِي أُقَبِّلُها ركَّزْت على الشَّفَة السُّفلي عند مكان النّدبَة أرغب أن تتحقق فتنَة الأسطورَة !كنت أدور فِي فلكها مجذوبًا بقوَّة هائلَة، كأنَّها الشَّمْسُ وكأنني الأرض.اعتدلت وقتها فِي خجل وأشارت أن اكف؟!

قلت : كنت فِي الْجنَّة أنا مثل أبي الأوَّل آدم .أنها جينات الْغوايَة!!

ابْتَسمتْ وهي تُغَمْغِم بالفرنسيَّة.: أنا لست بقايا الْجنَّة، أنا بقايا الْحريم؟ كانت بوَّابَة بيتنا تفصل حريم النِّساء عن غرباء الشارع، وكان شرف أبي ارتبط بهذا الْفصل كان بوسع الأولاد عبور الْبوَّابَة بصعوبَة أما النِّساء الْبالغات فلا ؟! حَلِمَ جميع النِّساء أن يَهِمْنَ على وجوههن بحرِّيَّة فِي الشَّوارع، وكانت حكايَة "الْمرأَة الْمجنحَة" الَّتِي تستطيع أن تطير من الْفناء متى شاءت كلما رُوِيَت فِي الْمغرب.. كانت النِّساء يُعلِّقْن أطراف قفاطينهن بزَنَانِيرِهن ويأخذن فِي الرَّقْص..وقد مددن بين أذرعهن وكأنهن ينوين أن يطرن !وقد بذرت ابنَة عمِّي"نوَّارَة" الَّتِي بلغت السَّابعَة عشرَة الاضطراب فِي ذهني عندما أَفْلَحَتْ فِي إيهامي أنَّ للنِّساء أجنحَةً غير منظورَة، وأنَّ أَجْنحتي ستطلع عندما أكبر !هَذَا ما استطعت عليَه صبرًا من فرنسيَّتِها الْجميلَة.. أما باقي ما قالتْهُ كان غريبا وأخذتُه إجمالا ؟! وكان يدور حول عدم اعتقادها بأن تكون الْجنَّة مخلوقَة الآن! قالت: بل الله يُنشِئها يوم الْقيامَة،خَلْقُ الْجَنَّة قبْلَ الْجَزَاء عَبَثٌ غير واقِع على وجه الْحكمَة؟!)

وجدت العروسُ الكويتية عند رأسي.. جذبتني قالت: أنت، يا أنت هل بالبنطال بُقَع ظاهرَة فِي الخلف! أم صحيباتى يعبثون؟

الْتَفَتُّ أنظر.. وكانت مستمرَة فِي الكلام بعصبيَّة.. وهِيَ تُدير لِي نفسها فأراها من الخلف، عجيزَتُها كورَة تنضح بنضج وأنوثَة يا لها من عجيزَة فرنسيَة جمعت بين الْعجرفَة واللُّطف، يكاد الْغريب مثلي أن يحس بطَرَاوتِها وشِدَّتها معا بالنَّظر الْمُجَرَّد.

عذرتُ فِي هَذَا الْوقت اللُّوطيِّين، فهل هُم مَن يَأْتُون الرِّجَال دون النِّساء – أم هم من يأتون النِّساء مِن هَذَا الْمَوْضِع؟! أطلَتُ النَّظرَ وقد بدا أنَّ الأمر جَدِير بالْبحث فِي فرنسا.. أليست أرض النُّور والحرِّيَّات!! استدارت معتدلَة .. كانت حانِقَة ومُتَبرِّمة.عند تبين بقع حمراء؟ وانصرفَتْ حانقَة،بقامَتِها الهَيفاء كانت فِي عينيها نظرَة تلقي إلي الظمأ،والتأفف معا،شعرت بخجل وصديقتها يصحن عليها: شريط الزفة سيستمر عالقاً خمسة ايام آخرى؟!

.استعملتُ الْجرس الصَّغِير الْموجود بجوار طفَّايَة التَّبغ لنداء النَّادِل تَحَرَّكَت الْكورة الْمعدنيَة بداخله حركَة بندوليَّة اصطدمت بالحوافِّ فصَدَرَ صوتًا ..ولكن لم يحضر النَّادل!! لحظَتُها..انكسرت أشعَّةُ الضوء وشعرت بهَا المغربية السمراء الافوكاتو "زبيدة" وكأَنَّهَا واقفَة بجسدها الْفارع الْممتلئ بلا ترهل، رائحتها فِي عبق الْمكان، أهي حقيقَة أم رغبَة لا تكف عن الْمثول. أشعر بأصابعي بين أصابعها فِي عناق حارٍّ! أهي ثورَة النَّبيذ الذي طلبته !!حمى الخيالات الَّتِي لا يَكْبح جِماحَها الْعقل، في مشد صدر أصغر درجتين عن مقاسها !! فترجرجا هَذَا التّرجرج اللذيذ.. وجدتُ الْفَرَنْسِيَّة مرَّة أخرى أمامي لا أعرف كيف تظهر لِي؟! إنها فِي لهوجَة دائمَة .جاءت لمنضدتي ؟! وجدت السجائر، وشعالَة النَّار الْقديمَة، أخذت واحدَة دون استئذان

قالت: منتول، نعناع .. ألا زال موجود هَذَا التّبغ السيئ!! .. أطفأتها .

: مسيو، هل أنت مسلم ؟

اجيب : نعم .

: اريد أن أضيف إِلَى بحثى عن جذور الدافع الجنسى "الْحجاب" من وِجهَة نظرك هل أوجده الْمسلمون لمقاومَة الشَّبَق الذُّكُورِي لديهم؟ أم هو يمثِّل شيئا عقائديًّا ؟! أَتُسَاعدُنِي فِي ذَلِكَ

: لا.. فالامر يهم النساء غطت وجهها أوعرت ساقيها

هى: لماذا ؟ اعتقدتُ أن الأمر يَرُوقُكَ! يمكن أُسوِّي الأمرَ معك بمكافأة فالإسلام بعيد جدا عن اهتماماتي، وبخَاصَّة أن "الْحجاب" ؟! مختلف الشّكل بينكم إني أحيانا لا أرى من الْمرأَة غير عينيها ؟! ،

أنا: لأنَّك مجنونَة .. أن تبحثي في "الْحِجَاب أو النِّقاب" داخل دراسَة أكاديميَة عن الدَّافِع الْجِنْسِي فِي الْجَرَائم الْجِنْسِيَّة؟! أن الحال وضع دينى! ما يَرُوقُنِي الْبحث عن تلك الْجذور، عند "عارِيات الْجسد" فى فرنسا- !

أخذتْ سِيجارَة أخرى..دون استئْذَان أيضًا .. أشعَلَتْها ..انْصرفَتْ وهِيَ تدخنها.. جاء النَّادِل،قدَّم الْفاتورَة معتذرًا بأن ورديَّة عمله انتهت أشعلت سيجارَة مينتول.. لبست نظارتي الطِّبِّيَّة، نظرت فِي الْحساب (نصف زجاجَة نبيذ نصف دجاجَة مشويَّة ، ميَة أخرى من النَّبيذ، ١٢٪ضريبَة ،١٠٪ خدمَة) لمحت الْفَرَنْسِيَّة تغادر الْمَكَان مَعَ أستاذتها الْعجوز الْبدينَة،التى طلبت منها الدخول بالبحث بالحجاب عند المسلمون؟! التَقَت الْعيون.. النِّنِّي فِي النِّنِّي، فأخرجت لِي أصبُعُها الأوسط من خلف ظهرها!!وحركته فى حركة لاتليق بأناقتها وجمالها ! دفعت الْحساب بلا تحسُّر على غير الْعادَة ..فلم يكن ضمن الْحساب امرأَة لزوم ؟ الْمكان الْمَكَان بزُجَاجِهِ الْمُلَوَّن وبِدِيكُوره الْبَسِيطِ .يوحي بأزمنَة أسطوريَة مشربيات بالأرابيسك الْمتداخل عاشق ومعشوق ..مِشْكَاوات متناثرَة هُنَا وهُنَاكَ ....قلل فخاريَة تخرج منها إضاءَة خافتَة تتلَوَّن بلَوْن جوف الْفخار فترى كل ألوان قوس قزح.

٢

لماذا اعجز عن الإفلات من يومياتى المضجرة؟!هل هو الندم أو السعى لتوبه دينيه نصوح!! رأس مثقف،وقلب فلاح، وأقدام متسكع، يختزل فرنسا بمقهى ومسرح وبار أو سرير؟بعيون طارئ و بلسان فرنسى معوج ليدرس القانون كيف حدث الأمر معى!

ما كنت أمشي معها في الشارع العام،وهى بجانبي من دون أن تضع يدها حول وسطى أصرخ مبتعداً عنها

: مجنونة،نحن في الشارع العام، قد يرانا الناس!!

تقول: تلفت نظر الناس، عندما تبتعد عني، إنهم لا يرون شيئا. لا أحد ينظر إلينا، لو تابعت السير بهدوء.

وأنا أشهق رغما عني، والتصق بها، وأنسى العيون الغريبة، ابحث عن باب أول عمارة نمر قربها، كي اجذبها الى داخلها، واقبل شفتيها، واتحسس صدرها.

بداية كنت مضطرب، وبمرور الوقت، تعودت،وصارت تمشي الى جانبى وعيناها تبحثان معى عن أي مكان يمكنني فيه، أن اقبلها وأتحسسهاولكنى لم اتوقع هذه اللحظة؟! ففى لحظَة من أَجَلِّ ما عرف الزَّمن رغم أنها مُعادَة وتحدُث فِي اليوم الْواحد آلاف الْمرَّات، فهِيَ الْمَعاد الَّذِي لا يُملّ، وما ينبغي أن يُمَل؛ فهو يَتضمَّن سِرَّ الْوجود الأعظم!

اتذكر.. فأكبر لذةٍ بعد ممارسة الحب هي الحديث عنه.. فنحن لا تنام مع النساء نحن تصحو معهن.فالناس نيام فإذا جاء الجنس انتبهوا؟

(حين نبهتها بأنه لا تزال أشياء بيننا..لا يكفي أن يتعرى الْجسد للجسد؟!وإنما يجب أن يتعرى الإنسان للإنسان ! !قالت: اخلع خُفَّيْك فإنَّك بالجسد الْمُدَلَّل تطُوى؟! الْهمت النَّفْسُ الْفجورَ، فسبحان من ألهمها فُجُورَها وتقواها. أَيقظت حسي بالعُريْ الْمُبْهِج، الفائر، الناعم..كل كُؤوس الْحياَة الْمُتْرعَة بخَمْر الأحزان والأحلام، نشوَة ..كآبَة .سَكِر الْقلب الذي لا يراع ..الْموقف تعدى الْملاطفَة..قالت: أبدأ فِي الْوصول

لأحلى أوقات جنونك ؟! ماذا بعد الأعمال التّحضيريَة. أَعُدُول أم شروع * ؟!أَمُمْكِن أن يتراجع رجل الآن ؟)كيف تراجعْتَ يا يوسفُ كيف أيُّهاالصِّدِّيق.. أُقَاوِم حارسي الدَّاخلي؟ولا شهود على تعذيب سجان ؟هي - أريد أن أراك كجورب مقلوب ؟! أنا - هَذَا لن تحتمليه.. داخلي مسكون بالحزن والخوف القديم! هي - ولماذا لا يَكُون بداخلي أيضًا ؟!

أنا - أأفعل ما أخاف ؟ هي- افعل ما تحب، أنت فِي أحضاني، ألا يبرُك هَذَا الْجمل الْعبيط! كانت تعتبرنى من اعراب الصحراء - ألَمْ تسمع نجيب محفوظ فِي (السَّرَاب) وهو يقول "أعظم واجب فِي الدنيا أن تلاعب فتَاةً جميلَة تحبها" ؟! أنت (ظاهرَة مُنَافيَة للطَّبيعَة) أن تسعى لهدف، فإذا أصبح بين يديّكَ تركتة؟ انسبت كيف كنت تطاردنى فى الكلاس؟!وتحضر دروسى وهى مختلفة عن ماتدرس؟! فأنت من سدنة الحكومة تكيل الإتهامات للبشر،أنا لوير حرة تدافع عن البشر،أنت تريد أن تحمى الدولة من ضعف الإنسان ،وأن اطبطب على هذا الضعف واحميه من استبداد الدولة المهين،أنت وثنى أمام تمثال القانون، أن مرتدة عن عبادة وثنك،؟! فالقانون الذى يصنعة بشر،ويعدلة بشر،يجب ان يخالفة البشر؟! أَنْهَت الْفلسفَة جمال اللَّحظَة ؟!

كانت تعرف أني أُحِبُّها، أُعْجِبتُ بِهَا سَعَيْتُ إليها.. فرفضت أن أكون عاشقًا مهزوما! قامت فِي غلالتها الْحمراء الشّفافَة .. تألَّقت أنوثَتُها حين انتصبت. وضعت يَدَها بيْن فَخِذَيّ.. وكأَنَّهَا عاهرَة بالسَّليقَة ؟! ضَحِكَت. اسْتَمَالتْنِى . فنزعتها.. وهبَبْتُ وَاقِفا مُنْهيًا الْحالَة برُمَّتها .لاحَظْتُ خُمُود نَهْدَيْها من الْفَوَرَان وكأَنَّهَا أُخِذَت على غِرَّة بِعِنَادي؟! فتحسَّرْت من التّردُّد، لم أفعل بنصيحَة شجرة الدر"الْملِكَة الْمملُوكِيَّة": إياكَ إياكَ.. والتردُّدَ يا أيْبَك .التّردد ؟!

الْعَقْل يَتَمَادَى فِي جُنون الْحُزن حين تَسْطَع اللَّذَّة حتَّى تعانق الألم كانت فِي عيوننا دموع الهزيمَة؟!دموع فرسان الْمماليك وهِيَ تنطلق بسيوفها فتقتلها مدافع

---

* *الشّروع هو الْبدء فِي تنفيذ فعل بقصد ارتكاب جنايَة أو جُنحَة اوقف أو خاب أثره لأسباب لا دخل لإرادَة الْفاعل فيها ، ولا يعتبر شروعًا فِي الْجنايَة أو الْجنحَة مجرد الْعزم على ارتكابها، ولا الأعمال التّحضيريَة لذلك، وتعين قانونًا الْجنح الَّتِي يعاقب على الشّروع فيها وكذلك عقوبَة هَذَا الشّروع فإذا لم تعين الْجنح بنص فلا عقاب على الشّروع فِي الْجُنَح.*

نابليون بدون قتال، لم يكن الأمر بطولَة لبونابرت، ولكنه مُجَرَّد فروق التّوقيت، بين الْمدفع والسيف، بين الْجَمَل وبَنَات الأَطْلَسِي!!

قالت: أنشرب الْقهوة.. فأنا أعرف قراءَة الْفنجان !!

قلت: لا تعبثين. فليس لِي غيب محوج .

- أنا امرأَة من الْحريم يا سيدي. لا توجد امرأَة فِي (فاس) لا تقرأ الْبُن؟! وما حدث، يحدث دوما مَعَ حالتِك ؟!

- أأنا حالَة؟!

- وأنا لستُ قَحبَة، من قحبات طنجة!

- وأنا لست عِنِّين !

جَلَسَتْ والشَّوق فِي عَيْنَيْها تتأمل فنجاني الْمقلوب.. قالت:.. (يا رجلي لا تجزع. فالعِشْق فِي فِنْجَانك مَكْتُوب؟ فِنْجَانُك كُلُّه نساء لكن نساءك بلا نُهُود، ولا فُرُوج ألا توجد فِي حياتك امرأَة هي الْمسك، والورود؟! رجل بلا رغبَة تشعله رجل مَوْءُود!) ضحكت،نظرت لِي فِي تَشَفٍّ قالت – ألست ذا مآرب فِي السمراء والْبيضاء والسوداء ، ألك فِي الْغِلمان ؟! إنها تَنْتَقِم بأُنُوثَة جرحها التَّرَدُّد.. فَضَحِكَت بلَوْن أَصْفَرَ. استمرَّت:(الْبُنُّ يقول إنك مَفْتُون،الصحراء لا تختبر الْجِمَال إذا فجرت الْعيون؟ ولكن الْجِمَال لا تملك الأفتنان بغريزَة الفضول؟ جسدك مصاب بالخرص. وأنا لست الْبتول!! قاوم ضمور الْجسد.) كانت تصهل كَمُهرَة.. فعرفت أنِّي مقتول؟!

قالت: أيها الْجمل الصَّحْرَاوِي،ألا زِلْتَ تتحمل الْعَطَش. اشْرَبْني عاهرَةً شِئْتَ .أو جاريَةً! خُذْني محظيَّة..أو موهوبَة ..أو سبيَّة! كان داخلي يَهْمِس متى يأتي سيِّدُها بالْباب؟!..ففي فرنسا لا يتدخل أحد. وهِيَ سيِّدَة الْمواقف ..امرأَة بلا زوج، ولم تصبح أُمًّا، وأشْعَلَ حُبَّهَا رغبتُها. داخلي يهمس لا توجد محاذير فِي الْقانون الْفَرَنْسِي؟! ولا ثغرَة .. راجعته .. وهو فِي حالَة الرِّضَا يترك الأمر !!قالت: أنا مِمَّا ملكت يمينُك ...أنا مِمَّا ملكت شمالُك؟!

داخلي يهمس، هل تهزم امرأَةُ الْعزيز هذه اللَّيلَة؟! أنا مسحور، ذائب وهِيَ تضع رِجْلَيْها فِي الْماء.. وتتكحَّل! والوقت بين النَّشوَة والغثيان. سكاكين النِّساء لم تفرق بين الأصابع والتُّفَّاح من جَمالِ سَيِّدِنا يوسف! والعُشَّاق لا يسألَوْن عند اللِّقَاء عن الْحرام

والْحـلال !!. يوسـف مسـجون بـداخلنا يفسِّـر الأَحْـلام للْعَاصِـينَ ؟ وَضَـعَتِ الْفِنْجَـان. وسكنت.. ضمَّتْني. جَمعَتْ أشْلائي..نساء الفنجان يَنْتحِرْن ؟! قد ماتت كل نساء الأرْض وبقيت هِيَ بفنجاني... قالت : أحِبُّكَ

ففارت وسامتي!! قدَّت قميصي من دُبُر وَمِن قُبُل..فقددت غلالتها. لم أستعصم !! أخذت أسلحتي.. نزعت أقنعتي.. أذاقتني طعم الْحرق .. وطعم النَّار.؟! استكانت وسمِعْتُ لها زَفِيرا.. بَانت فانْتَفَضَت تَغْتَسِل .. وبنت فطفقت علي الْغِطَاءَ .. أُعجبت بِهَا ..سَعَيْت إليها .. وأعرف خاتمتي وانتهيت.

الْقَـدَر يعمـل إرادتـه.. فهـل يَضُـرُّ فِعْـلٌ مَـعَ إيمـان؟! فهـل نشـاء إلا مـا شـاء اللَـه؟! أيُسعِفني الأشَاعِرَة..أم يُدِينُنِي الْمُعْتَزلَة؟! أمكتوب فِي الأزل الْغيبي..أم النَّص الْمُقَدَّس بافعل ولا تفعل؟! لم يكن ممكن لآدم أن يعمل بالأمر.. والْمشيئَة كتبت أن تكون حياتُه بالأرض؟! يا لها من إشكاليَّة مَن يُنْشِئ الأفْعال؟

خرجتْ من مِغْطَسِها بالْبرنس وجدتني فِي ملابسي بدون اغتسال!

قالت: لماذا لم تلحق بي ..ألا تعرف طقوس النِّهايات! فاتك الْحَمَّام الْمغربي، فاتك أن أُجَرِّشَكَ- ألا تعرف سحر الْحَمَّام الْمغربي؟ راحَة ما بعد الانتهاء!

لم أكن أعرف وقتها إلا عذاب آدم. أحبها، أكرهها، ولكني دوما أشتهي وصلها.. أنا فِي حالَة إدمان وكأنها "ذنباً، سألت اللَه ألا يغفره"ولكنها غفرته وغابت؟!فالبهجة مرة واحدة..وبعدهاأما النسيان والندم،أو التكرار والإدمان

الفصل الثانى

١

على مساحَة كبيرَة من أرض الْمعارض الَّتِي تقع خارج باريس يجتمع الآلاف من الْمسلمين الْقادمين من أنحاء أوروبا وأيضا أفريقيا وبعض الدِّول الْعربيَّةعلى مدى أربعَة أيَّام - سنويًّا- يلتقون خلالها بالشخصيات الإِسْلامِيَّة من مختلف الْبلاد الأوروبيَّة والإسلاميَّة يتحدثون عن قضاياهم الرَّاهنَة وعن إسلامهم وفي الْوقت نفسه تكون مناسبَة لمسلمي أوروبا..وفرنسا بشكل خاص للاطلاع على آخر الإصدارات من الْكتب والأشرطَة الْمُسَجَّلَة الَّتِي تشرح وتُوَجِّه وتدعو إِلَى التَّمسُّك بالْممارسات والتطبيقات والتعليم الديني،وقد تحدد عنوان الْمؤتمر ليكون: "من أجل إسلام خاص بفرنسا"وهو الشِّعار الذي رفعته الْمنظمات الإِسْلامِيَّة فِي فرنسا مقابل الْفكرَة الأولى الَّتِي يتخوَّف منها الْفرنسيون وهِيَ "الإسلام فِي فرنسا" حيث إن السلطات الْفَرَنْسِيَّة ترفض وجود إسلام فِي فرنسا مُنْفَصِلا وَمُنْعَزِلا عن الْمُجْتَمع الْفرنسي لذلك اختار الاتحاد الإسلامي هَذَا الْعام أن يَكُون شعاره موجَّها إِلَى السلطات الْفَرَنْسِيَّة فِي الأساس لكي يطمئنوا إِلَى أهدافهم فشعار هَذَا الْعام يدل على أن الاتحاد لا يريد من الْمسلمين فِي فرنسا أن يكونوا منفصلين عن واقعهم كانت فرصة ساقها الْقَدَر (أربعَة أيام) للإطلال على الْمسلمين خارج ديار الإسلام . هكذا أعلنت الْفكرَة لزوجتي بينما كان الهدف الأساسي هو خروجي من أزمَة تطوُّر الْعلاقَة مَعَ (زبيدَة) الْمَغْرِبيَّة، ابنَة مَرَاكِش، الَّتِي وصلت مشاعري نحوها بل مشاعرنا الْمتبادَلَة حدَّ الْعِشْق. كان هَذَا الأمر مؤثِّرًا على علاقَتِي بزوجتي ساد بيننا صَمْتٌ مُطْبق واستمر أكثر من أسبوع فقدت خلاله طريقي إليها، بل ضاع مني مفتاح مدينتها! الْحقيقَة أن هَذَا الْعشق الْجديد أدخلني مدن الأحزان.وانشغلتُ بحالي حتَّى لا يُؤَدِّي الأمر إِلَى وضع نفسي يَعُوق تَحمُّل الْغُربَة وانْشِغَالي بالدِّراسَة.(زبيدَة) فِي هَذَا التَّوْقيت استولت تماما على مشاعري، ولَمَّا كُنْت فِي الْحُبِّ لا أعرف اللَّعِب على خمسين حبل، ولا الانتقال بين النِّساء ..أصابني الْعطَب

وتبيَّن لِي أنها لعبَة صعبَة لا أعرفها، أن أغير الأقنِعَة وأعيش الزَّيْف. كان الأمر صعبًا أن تكون شفتاي بين أربع شفاه، وأن أنتقل من حضن إِلَى حضن. كيف أعطي زوجتي حنان الخيانَة،وألعب سياسَة فِي الْعشق ؟! من الْواضح أني أحادي الهوى، ولكن كيف الصبر على واحدَة طُوَال الْعمر؟!

اجْتاحت صالاتِ الْعُرُوض هَذَا الْعام بجانب الْكُتب والْكاسِيتَّات اللافِتاتُ باللُّغَتين الْفَرَنْسِيَّة والعَربيَّة الَّتِي تتحدَّث عن الإِسْلام، وتُطالْب بتبرُّعات لِبناء الْمَساجد خَاصَّة فِي باريس وضواحيها ؟! فكان التَّركيز أكثر على التّبرُّعَات وفتح الْمدارس الإِسْلامِيَّة خَاصَّة بعد تطبيق الْقانون الخاص بِمَنْع ارْتِدَاء مَا ينمُّ عن الانتماء الدِّينِي فِي الْمدارس،ومقصود به الْحجاب بالنِّسْبَة للفتيات وذلك بهدف إعطاء الْفتيات الْمسلمات الْفرصَة ليتعلمن بدون أن يضطررن إِلَى أن يخلعن الْحجاب وفي الْمُقابِل صدر قرار سِيادِي لـ (دي فيلبان) وزير الدَّاخليَّة الْفَرَنْسِي- بتعليم وتكوين أئمَّة الْمساجد فِي فرنسا فِي (جامعَة السوربون) ويبلغ عدد هؤلاء الأَئِمَّة نحو ١٢٥٠ إمام مسلم فِي فرنسا، وبرنامج تدريب الأئمَة يقوم أساسا على تعليم اللُّغَة الْفَرَنْسِيَّة،ومبادئ الْقانون، والنظام السياسي الْفرنسي، والتاريخ الْفرنسي، وثاني خطوَة تقدم بِهَا دي فيلبان هي تشكيل رابطَة إِسْلامِيَّة تكون مهمتها تنسيق وتنظيم الْعلاقات بين الْمسلمين فِي فرنسا والسلطات الرَّسميَة الْفَرَنْسِيَّة،ويكون من مهمتها أيضًا تَقَبُّل التَّبَرُّعات والأموال من فرنسا والخارج لرعايَة شُئون الْمسلمين فِي فرنسا بشرط أن تكون تحت سمع وبصر الدولة؟! وبذلك يَكُون (دي فيلبان) قد منع تمويل الْمساجد من الخارج، وأوقف تأثير الدِّول الأخرى فِي شئون مسلمي فرنسا .واعلن بأن ذلك لمواجهة الارهاب فهناك اسلاموفوبيا بين الفرنسيين؟!

وسط كل هَذَا الْمشهد الدِّينِي تَأْتِي خواطر مضْطَربَة، أُحاول صرفَها فلا تُصرَف! لم تكن من الشَّيطان بل من داخلي.. لم تبرح مخيلتي: "عندما هممت أن ألحق بِهَا فِي الْمغطس وجدتُ أوراقا منفصلَة من كتاب أجهله عَلَيْهَا تعليقات منها وجدتُها على أرضيَّة الْحُجرَة. كانت الأوراق مكتوبَة بالفَرنْسِيَّة والتعليقات غامِضَة متكررَة تنتهي بعبارَة: كسرتَ قُلَّتي ؟! رأت الْقصاصات بيدي؟! فعلَّقَتْ: لغتُك الْفَرَنْسِيَّة أصبحت جيِّدَة ... " عندما أوشكت على الذِّرْوَة أخرجت نفسي لأنتهي على بطنها أحاطت خصري بساقيها وهِيَ تقول :لا..لا.. ابق.!!"ولكنى اعتدلت وقمت..فتأففت وقامت خجلة تستحم؟!!

أأنا الأوَّل أم مجرد عابر سرير؟ همهمت مَعَ نفسي .. أحبُّك، فما ذنبي إن جاءني حبك فِي شكل خطيئَة؟! ما أجمل ما حدث بيننا، ما أجمل الَّذِي لم يحدث، ما أجمل الَّذِي لن يحدث ؟! نحن لا نُشْفى من ذاكرتنا.

كيف ينظر أتباع الدِّيَانَات إِلَى الْمسيح ؟ ... هَذَا السُّؤَال أجاب عنه تقرير قُدِّم للمؤتمر فِي اليوم الأَوَّل..وكشف التّقرير أن الْمسلمين هم الأكثر توقيرا لشخص الْمسيح، والأكثر إيمانا بمضمون رسالته الَّتِي بُنِيَت على الْمحبَّة والتَّسَامح، بينما يرى أتباع الْبوذيَّة أنه شقيق لـ"بوذا" رغم التّفاوت الزمني والجغرافي بينهما ؟! وهو يقترب أيضا من موقف الديانَة الهندوكيَّة أمَّا اليهود فلا يرونه بكل هَذَا الْجلال والتَّوقير فقد ألصقوا به صفات بَشِعَة ونعتوه بأوصاف وألقاب مُشِينَة؟! الْمسلمون يؤمنون بالْمسيح كنبي يسبق محمد – صلى الله عليه وسلم - زمنِيًّا وأنه رسول الله جاء بالإنجيل،وبالنِّسْبَة لليهود كانت نظرتهم التّاريخيَة الْقديمَة للمسيح ولا تزال كمُخَلِّص ومُنْقِذ للبَشَرِيَّة وإن كانوا يعتقدون أن الْمَسِيحَ لم يأتِ بَعْدُ وهم ينتظرون مجيئه؟! والنَّظْرَة الْمُتَطَرِّفَة لبعض اليَهُودِ والَّتِي تُخالف ما جاء بالعهد الْجديد "الإنجيل" عن الْمسيح فهم ينظرون إليه بشكل شديد الْقسوَة، ويرون أنه لم يولد من عذراء لم تتزوَّج ؟! ويَتَّهِمون زُورًا مَرْيَمَ الْعذراء بأنها استسلمت للغِوايَة؟! وأنَّ الْمسيح اكتسب بعض الْقوى السِّحريَّة الَّتِي مكَّنَتْه من أداء بعض الْحيَل الْمَاهِرَة !!

وَيَزْعُمُون أيضًا أنه شنق وأُخْفِيت جُثَّتُه لِيَتِمَّ اكتِشَافُها بعد ثلاثَة أيام .الْمسلمون ينظرون باحترام شديد وحب للمسيح على الرَّغم من إيمانهم بأنَّ مُحَمَّدًا هو آخرُ الأنْبِيَاء، فهم يُقَدِّسون الْمسيح عيسى بن مريم باعتباره نبيًّا وليس ابنا لله - فالله مُنَزَّهٌ عن ذَلِكَ كما يؤمنون بالْمُعْجزَة الَّتِي أتت بميلاد السيد الْمسيح ولا يشكون مُطْلقًا فِي طَهَارَة وبتوليَة السيدَة مريم الْعذراء وأن معجزَة إلهيَة كانت وراء ميلاد السيد الْمسيح دون وجود علاقَة بشريَة بين السيدَة مريم وأي رجل، كما أنهم لا يتشككون فِي صعود الْمسيح إِلَى السماء ..بل إن معجزَة الْكلام فِي الْمهد للمسيح لم يُثْبِتُها إلا الْقرآن الْكريم !؟ وينتهي التّقرير إلى سؤال ناعم كيف ينظر أتباع الدِّيَانَات الأُخْرَى إِلَى نبي الإسلام مُحَمَّدٍ (صلعم) ؟!

السَّلَفيُّون..الأرثوزكسيَّة الإسلاميَّة: قُدِّمَ للمؤتمر تقرير بعنوان "السَّلَفيُّون..الأرثوزكسيَّة الإسلاميَّة" جاء فيه : ما معنى الأرثوذكسيَة ؟ هَذَا هو

السُّؤَال الأَوَّل الَّذِي يجب الإجابَة عليه قبل الدُّخُول فِي خِضَم الْموضوع . وبخصوص معنى هذه الْكلمَة "أرثوذكسيَة" فالْمُتخصِّصون يعرفون أنها يونانيَّة الأصل،وأن لها معاني متعددَة أفاضت فِي شرحها الْقواميس والْموسوعات، لكنها فِي نهايَة الأمر تعني بالْمختصر الْمفيد السلفيَة..ولأن كلمَة "سلفيَّة" ذات وقع إسلامي وجرس عربي فصيح حين تفرِّق بين"السلف والخلف" أو بين الأوائل والأواخر، أو بين الْمُتَقدِّمين والْمتأخرين ولأنها ترتبط ارتباطًا وثيقا بتاريخ الْعقائد الإِسْلامِيَّة وحاضرها باعتبارها اسما لفريق من الْمسلمين عُرِفوا بأهل السلف،ولأنها تُشير إلى سيادَة اللُّغَة الْعربيَّة لهذه الأسباب ظل الْمسيحيون الْعرب يستعملون الْكلمَة بمنطوقها ومعناها اليوناني فيقولون:الروم الأرثوذكس.والأرثوذكس السريان.والأقباط الأرثوذكس. وقد وُظِّف مصطلح "السلفيَة" لصالِح الاستخدام الْغربي أو الأمريكي تحديدا..فإنَّه لم يعد وصفا لنفر من أهل الْعلم قرروا الالتّزام بالتّعاليم الأساسيَّة، أو الْعودَة إِلَى الأصول، وإنما غدا عُنوانا لدعوَة للعُنْف والتَّطَرُّف يَنْعَت "السَّلفيَّة الإسلاميَّة"بالتَّخلُّف والعنف والعداء للدِّيمُقراطيَة وبكل الشُّرور والْعِبَر، ورغم أن بعض الْغرب انتسب إِلَى مجال الْبحث والعلم إلا أنه لم يلتزم بالقدْر الْمُفْتَرض من الْحَيْدَة والْمَوْضُوعِيَّة؛ لذا فإنه كان فِي مُجْمَله بمثابَة صحيفَة ادعاء أشد حِرصًا على إدانَة الْمُتَّهم. خطورَة ذَلِكَ التّوْظيف اللُّغَوِي أنه يضع جميع الْمُتَدَيِّنين تَحْتَ تصنيف واحد بغير أيَّة تَفْرقَة بين معتدل ومتطرف!! الأمر الذي يكاد يوحي بأن الْمشكلَة الْحقيقيَّة تكمن فِي التّدين ذَاته وهو معنى يُرَوِّج له الْبَعْض بإشارات مُتَبَاينَة الآن فِي فرنسا ؟!ولأن الْعَمَلِيَّة بدأت كمحاكمَة تكلم فيها الادِّعاء وحده حتَّى بدت الظاهرَة الإِسْلامِيَّة كأَنَّهَا من مواليد حِقْبَة السَّبْعِينَات الَّتِي شهدت ظهور عددمن الْجماعات الْمتطرفَة (التَّكفير والْهِجرَة،والْجِهاد) ويتجاهل تمامًا كل صفحات سجل الإحياء الإِسْلامِي مُنْذُ بِدَايَة الْقَرْن الذي يقف على رأسه نفر من السلفيين الْمُعْتَدلين:كجمال الدِّين الأَفْغاني،ومحمد عبده ،ورشيد رضا.

تعرَّفْت على مجموعَة من الْجَزَائِرِيِّين،كانوا مُنَظّمين ويُمَثِّلُون وحدَة بَعْضُهم ذو لِحْيَة كَثِيفَة ولكنهم جميعًا يلبسون الْملابس الإفرنجيَة كان حديثهم عن تدخُّل الْغرب، وبخَاصَّة فرنسا فيما أفرزتْه التّجربَة الدِّيمُقْرَاطِيَّة فِي الْجزائر من فوز للإسلاميين، بينما كانت من بينهم أصوات تطلب غلق الْملف لأن ما حدث فِي الْجزائر باسم الإِسْلام جَعَل النَّاس تقول: ليت الْفتح الإِسْلامي لم يَصِلْ أرضَنَا ؟! كانت

التّركيبَة النَّفْسيَّة للْجَزَائِرِيِّين جَادَّة للغايَة وكأَنَّهَا لا تعرف التّفريج عن النَّفْس لا بالقول ولا بتقاطيع الْوجوه، فِي الْواقع كان لديهم عَجْزٌ عَاطِفِيّ عن التّواصل، اللُّغَة الْعربيَّة بينهم (حادَّة) ومخلوطَة بالفَرنْسِيَّة. ويبدو أن الثَّورَة والجهاد الطويل وما بعد ذَلِكَ جعل هُنَاكَ مشاكل فِي الْبِنْيَة النَّفسيَة والعاطفيَة لَدَيْهِم.

جاء..اليَوْمُ الثَّاني وهو يوم اهتمام الْمؤتمر بالْملابس الإِسْلامِيَّة وبمظهر الْمُسْلِمين؛ لِذَا اهتم الْمُنَظِّمُون بتخصيص مساحات أكبر لِلْمَلابِس وعرضوا الْملابس الإِسْلامِيَّة للسيدات "دعوَة وير" أو ملابس الدعوَة فاحتلَّت مساحات أكبر من أيَّة ماركات أخرى كما عرضت ملابس صنعت فِي بلجيكا وفرنسا حتَّى تكون الْمرأَة الْمسلمَة كما يقول الْمسئولون "أنيقَة بدون أن تظهر خطوط جسدها- راقيَة دون أن تخالف ربها - مُتَرفِّعَة عن الْفتنَة". كانت زوجتي قد أَوْجدت لِنَفْسها نشاطا مَعَ أُخريات وهو تعليم ربَطَات الْحِجَاب، لأكْتَشِفَ أنَّ الْمرأَة الْمُسلمَة صنَعَت عَالَمًا من الْموضَة فهُنَاكَ الرَّبطَة الْمِصريَة،وهُنَاكَ الْخَليجيَّة، وهُنَاكَ الرَّبطَة باستعمال نوعين من الْقُماش. والغريبُ أنَّ النِّساء كن يعرضن على الْفرنسيات الْمسيحيات بسذاجَة تجربَة ارتداء الْحجاب!! والفرنسيَّات سعيدات بالتَّجْربَة ويتَصَوَّرْن فوتوغرافيا بالْحِجَاب!! تمامًا كتجربة التّصوير للسياح عند الأهرام بالعقال الْعربي فوق الْجَمَل،وحينما أبدت بعض الْفرنسيات رغبَة فِي شراء الْحِجَاب،تعاونت النِّساء الْمُسلماتُ فأعطيْنَه لهُنَّ هَدِية ولم يَنْسيْن أن يقولنَّ : إنها هدِيَّة فِي الله !!

لا أعرف كيف ظهرت وسط ذلك..الْفَرَنْسِيَّة الْملهوجَة كثيرَة الْحركَة والقلق والَّتِي أخذت آخر سيجارَة من سجائري الْمنتول وعلَّقَت وهِيَ تُدَخِّنها فِي نَهَمٍ بعبارَة: ألا زال موجودًا هَذَا التّبغ السيئ ؟ ثم كيف أنسى لها أنها أخرجت لِي أصبعها الْوسطى من خلف ظهرها !! فكَّرتْني زوجتي حينما قالتْ أنَّها باحِثَة فرنسيَة مَسِيحِيَّة مُهْتمَّة بالْبحث فِي (الْحِجَاب) والإسلام وأنها أهدتْها حجابًا من قطعتين من الْقماش بألوان زاهيَة، ولكنها "كثيرَةُ الرَّغْي"وطلبَتْ منِّي أن أُسْعِفها باعتباري "سِيبَوَيه" الْفَرَنْسِيَّة كما سبق وأن أشعْتُ لها ؟؟ ولكنِّي أخذتُ ثأري بتحويلها على جزائري ذو لحيَة كثيفَة، لينْتَقِم بطريقَته من تَدخُّل الْغرب،وبخَاصَّة فَرَنْسَا - فيما أفرزتْه التّجربَة الدِّيمُقْرَاطِيَّة فِي الْجزائر من فوز للإسلاميين أجهضه تدخل الْغرب!!لأرد عَلَيْهَا أُصبعها الْوُسطى الَّذِي أخرجتْه من خلف ظهرها !!

اليومُ الثَّالث بدأ اليوم بمُهَاتَرات بين الاتِّجاهات الإسلاميَّة بما يوحي بأن "الشَّيْطان"عرف الْمكان..وبدأ الْوسواس بالسُّؤال: لِمَا نقدم الدَّنيَّة فِي ديننا ؟ كانت الْبدايَة من الْجزائريين وانضم لهم الْمصريون والإيرانيون. دون باقي الْجاليات الإِسْلامِيَة! لا يوجد إسلام فرنسي وآخر إنجليزي؟! يوجد إسلام واحد ..الإِسْلام لا يتلَوَّن بلَوْن الأرض؟! أن يَكُون عنوان الْمؤتمر "من أجل إسلام خاص بفَرَنْسَا" فهذا خروج عن الْمِلَّة؟!

وَأَدُ الْفِتنَة محاضرَة موضوعها (ما هدف الشَّريعَة الإِسْلامِيَّة ومحورها بل هدف كل الشَّرائع السَّماويَّة؟!) يقول الْمحاضر: النَّص صريح فِي الْقرآن.. يقرر بوضوح أنه الْعدل بناء على ذَلِكَ فإن النَّظر الإِسْلامِي الصائب والالتزام الأمين هو ذَلِكَ الَّذِي يمضي فِي التّطبيق سالِكًا طريق الْعدل والْحريَّة مبتدئ بمدارجه ومنتهيا إِلَى مقاصده، فقد ذكر ابن الْقَيِّم في (أعلام الْمُوقِّعين):إن الله أرسل رُسُله وأنزل كتبه ليقُومَ النَّاسُ بالقسط، وهو الْعدل الَّذِي قامت عليه السماوات والأرض، فإذا ظهرت أمارات الْحق، وقامت أدِلَّة الْعدْل وأسفر وجهه بأي طريق كان فثَمَّ شرع الله ودينه ورضاه وأمره.

وابن تيْميَة هو الْقائل: إن أمور النَّاس تستقيم فِي الدُّنْيَا مَعَ الْعدل الَّذِي فيه الاشتراك فِي أنواع الإثم أكثر مِمَّا تستقيم مَعَ الظُّلم فِي الْحقوق وإن لم تشترك فِي إثم؟! واستشهد بمن قال:إن الله يقيم الدَّولَة الْعادلَة وإن كانت كافرَة،ولا يقيم الدَّولَة الظَّالِمَة وإن كانت مُسْلِمَة..ثم قرَّر أنَّ الدُّنْيَا تدوم على الْعدل والْكفر ولا تدوم مَعَ الظُّلم والإِسْلام .

لم يُعجبْنَا بالطَّبع أن تكون الخُلاصَة أن الله يقيم الدولَة الْعادلَة وإن كانت كافرَة،ولا يقيم الدولَة الظالِمَة وإن كانت مسلمَة؟! رغم أن الدول الظالِمَة غير الْمسلمَة قائمَة؟! ولذا قال الْمُتحمسون: "اللَّهُ يفعل ما يشاء.." .. وقال بعض الْمتخصصين هَذَا رأي للمعتزلَة، يريدون أن يجبروا (الله) تجلى وتنَزَّه، على فعل ما يروه هم مثالي ؟!ولكنه لا يحيط به الإنسان علما .يملك الْقضاء والقدر، والعسر واليسر.. ويجعل ذلك كله فتنَة ليختبر النَّاس كذلك حدث خلاف حول الاستِشهاد بالْفَقيه الْحَنَفي "ابن عابدين" حين أفتى فِي حَلِّ نزاع اثنين على طفل أحدهما مسلم، والثاني غير مسلم حين حسم الأمر لصالِح غيرِ الْمُسلم لأنَّه ادَّعَى أنه ابن له. مُعْتَبرا أنَّ تنْشِئَة الطِّفل على حُريَة ولو على غير دِين الإِسْلام أفضل من تنشئته على الْعُبودِيَّة فِي ظِل

الإِسْلام !! ولكني أُعجبْت به رغم قِدَمِه، فقد كان الرَّجل واعيًا بأهمِّيَّة قيمَة الْحُرِّيَّة عندما وَاجَه ذَلِكَ التّعارض بين الْقِيمَة والْمِلَّة. عَادت الْفِتنَة بِوَرقَة عمل أثارت الْحَفِيظَة الْفَرَنْسِيَّة، الأَمر الَّذِي جَعَل الأمْن يَظْهر بِقَبْضَة شديدَة. كانت ورقَةُ الْعَمَل تتحدث عن "الاسْتِشْراق ودوره ضِدَّ الإِسْلام" حيثُ أرجعت تاريخ الاستشراق فِي بعض الْبلدان الأوربيَّة إِلَى الْقرن الثَّالِث عَشَر الْمِيلادِي، والسبب الرَّئيسِي الْمُباشِر الَّذِي دعا الأُوربيين إِلَى الاستشراق هو سبب ديني فِي الدَّرَجَة الأولى؛ فقد تركت الْحرب الصّلِيبيَّة فِي نفوس الأُورُبِّيين ما تركت من آثار مُرَّة عميقَة،وتَمَّ ربط ذَلِكَ باليونسكو.؟!

لِتُصبح مُفْتَريات اليونسكو على الإِسْلام،نار الله الْموقدة فما جاء فِي موسوعَة اليونسكو فى كتابب خرج عنه (تاريخ الْجنس الْبشري وتقدُّمه الثقافي والعلمي) وفي الْفصل الثَّالِث من الْمُجلَّد الثَّالِث (الْحضارات الْكبرى فِي الْعصر الْوسيط) وهذه الْموسوعَة كَتَبَ فصُولَها جاستون فييت وفاديم الييف وفليب وولف وجان نادر،والفصل الْعاشر من هَذَا الْمُجلد خاصٌّ بالعرب وقد سَوَّدَ كاتبُه صفحات هَذَا الْفصل بمِدَادٍ هو مَزِيج من التّشْويه لتاريخ الإِسْلام والافتراء على سيرَة نبي الإِسْلام وخلفائه الرَّاشدين؟١. إنها مُحاوَلَة لإنجاز تاريخنا الطَّويل فِي نَيِّفٍ و٣٥٠ صفحَة؟! (جاستون فييت) الْمؤلِّف الْفَرَنْسِي- فِي موسوعَة (اليونسكو) زعم أن الإِسْلام احتفظ فِي رُكن من أركان الْكَعبَة بالصَّنَم الرَّئِيسي للمَكِّيِّين ألا وهو الْحجر الأسود!! ويبدو أن (جاستون فييت)كاتب الْفصل الخاص بالإِسْلام كتب ما كتب على الأرجح وهو متوتر الأعصاب. فمن مزاعمه الَّتِي هِيَ أهون من أن يُرَدَّ عَلَيْهَا ادِّعاؤه أنَّ الشَّريعَة الإِسْلامِيَّة حتَّى معظم الْقرن الأَوَّل الهجري لم يكن لها وجود بالْمعنى الدقيق لهذه الْعبارَة؟! ويحاول الْكَاتب أن يُسْنِدَ زعمَه بأنَّ الْمظاهر الْفنِّيَّة للشَّريعَة لم تكن موضع اهتمام من جانب الْمسلمين، ومن ناحيَة أخرى ترتَّب على هَذَا وذاك أنَّ الْمسلمين اضْطرّوا إِلَى انتحال الْقدْر الْكبير من النُّظُم الإداريَّة والقضائيَّة من الْبلاد الَّتِي فتحوها، ثم يُوَاصِل الْمستشرق الْفَرَنْسِي افتراءه فيَدَّعي أنَّ مصادر الشَّريعَة الإِسْلامِيَّة هِيَ الْقانون الرُّومَاني الْبِيزَنْطِي والقانون الْفارسي السَّاسَاني وقانون التّلمود بالإضافَة إِلَى الْقَوَانِين الدِّينِيَة الخَاصَّة بالْكنائس الرَّاقيَة.؟!

"" ونَصِيحُ بالرَّفْض.""

الإسْلام كما تقول (موسوعَة اليونسكو) تركيب مُلَفَّق من الْمذاهب اليهوديَّة والْمَسِيحيَّة بالإضافَة إِلَى التّقاليد الْقوميَّة الْوَثنيَة الْعربيَّة الَّتِي أبقى عَلَيْهَا كطقوس قَبَلِيَّة تجعلها أكثر رسوخا فِي الْعقيدَة؟!

- ""*ونَصِيحُ بالرَّفض.*""

تَزْعُمُ موْسوعَة (اليونسكو) أن الإسْلام لم يُنْصِف أهلَ الذِّمَّة وأنَّ الإسْلام عَمِل على أن يظَلَّ الْوضع الاجتماعي للذِّمِّيِّين وضعًا سَيِّئًا مَهينًا، ويَسْتَدِلُّ الْكاتب بالجِزْيَة الَّتِي فُرِضَت ويراَها ضَريبَة بَاهظَة أَثْقَلت كَوَاهِل الذِّمِّيِّينَ ثم يَزْعُم أن ازدياد انتشار الإسْلام بين الذِّمِّيِّينَ أدَّى إِلَى تناقص الدَّخل من هذه الضَّرَائِب

""ونَصِيحُ بالرَّفْض.""

ويكون الْقرار الْجماعي السريع الرَّد على مفتريات (اليونسكو) ودائرَة معارفها ومحرروها من الْمستشرقين الَّذِين يغلب عليهم التّعصُّب،دون أنْ نعرف - كَيْف.. وَمَن ؟! أهو مُجرَّد تفريغ!كانت الخِطْبَة بالفَرنْسِيَّة ومع الصَّيْحات الْمُتَتابِعَة لنا، وكون الْمركز الرَّئيسي لليونسكو بباريس ردَّ فِعْله على الْمُتَفرِّجين من الْفرنسيين وقد قُوبِل ذَلِكَ بمُضَايقات فرنسيَة بَدَت طبيعيَّة من الأمن بالتَّأكُّد من أوراق الإقَامَة، وعدم وجود هِجْرَة غير شَرْعيَّة، وعمل الْكَاردُونَات بِحُجَّة النِّظام!! الأمرالَّذِي أدى لمناقشَة بيننا .وكان للسوريين رأي عاقل يرى أنَّ فَرَنْسَا والغرب تقصد بالإسْلام ممارسات الْمسلمين على الأرْض بينما نسوق لهم النَّصوص الْمُقَدَّسَةوالعقيدَة،وهذه طريقَة لا تُفيد لأنهم غير مُلْزَمِين بنصوص عقائدنا فإذا جاءت اللغة الْفرنسية فلْنَعِي أنَّنا نُدِير حِوارًا ولا نُكلِّم أنفسنا اعْجِب إمام الْمسجد الْكبير "مسجد ليون" الَّذِي حضر الْمؤتمر بما طرحه السُّوريون فأعلن أنَّ مِن الْكُتب الْمَعْروضَة، كتب تَرُدُّ على كل ما جاء فِي موسوعَة اليونسكو *وأنه قرأ بالأمس كتابا منها ل د/ صوفي أبو طالب عن فِرية أنَّ الشَّرِيعَة مُسْتَقَاة من الْقانون الرُّومَاني،وقدّم شابٌّ فرنسي (يُدعى جون جورو) اعتنق

* اليونسكو- الاسم الْموجز الَّذِي اشتُهرت به وهو الْحروف الأولى للكلمات الَّتِي يتألف منها اسم الْمُنظمَة فِي اللغَة الإنجليزيَة إحدى الْمنظمات التّابعَة للأمم الْمتحدَة للتربيَة والعلوم والثقافَة .. تأسست فِي عام ١٩٤٦ لدعم التّعاون بين الأمم عن طريق التّربيَة والعلوم والثقافَة، ولتعزيز الاحترام الْعالَمي للعدل وحكم الْقانون وحقوق الإنسان والْحريات الأساسيَة .وهى تعمل على إنماء التّبادل الثقافي بين الدِّول وجعل الأعمال الْفنيَة والأدبيَة والفلسفيَة فِي تناول الشّعوب .

الإِسْـلام مـن ٧ سـنوات ليقـرر بأنـه سمـح بتأسـيس الْمعهـد الْفَرَنْسِـي للدراسـات الإِسْـلامِيَة،وهو معهـد يهـتم بـالرُّوح الْموجـودَة بالإِسْـلام ولـيس بالشَّـكْل كالْحِجَـاب والْجِلْباب وبالتَّالي فهو أقرب للصُّوفيَّة وقال: بخاصَة، أننا أبناء مجتمع غربي تحكمه قوانين عَلمانيَّة وهذه الْحالَة من الشّفافيَة والسماحَة هِيَ الأفضل لمؤتمر شعاره "من أجل إسلام خاص بفَرَنْسَا" التّصوف - فيما أعتقد - سفيراً حقيقياً للإسلام مَعَ الْعالَم.

٢

فى اليَوْم الرَّابع أصاب الْقلق بعض الْجاليات الإِسْلامِيَّة فِي باريس عندما صدرت مجلَّة (لوبوان) الْفَرَنْسِيَّة وعلى غلافها رسم كبير زعمت أنه يمثل النَّبي محمد – صلى الله عليه وسلم- وابنته فاطمَة، وزوجها علي بن أبي طالِب؟! وتحت عنوان كبير"الْحياة الْحقيقيَّة لمحمد" فالرَّسم ممنوع للأنبياء جميعًا فِي التّقاليد الإِسْلامِيَّة ولكن الْبعض قرر أنها ليست مجرد التّقاليد الإِسْلامِيَّة بل إن التّصوير محرم بالسُّنَّة!!حينما احتد الخلاف حول:هل الرَّسم كالتّصوير؟! تركتُ الْمَكَان وزوجتي لنشاط اجتماعي آخر للمؤتمر انضممنا له وهو "زيارَة الْمرضى الْمسلمين من جميع الْجنسيات بمستشفيات فَرَنْسَا" كانت مجموعتنا تتكوَّن من ٧ أشخاص أحدهم إيراني،علَّق تَعْليقا مُرَوِّعًا بالنِّسْبَة لِي ونحن فِي باص زيارَة الْمستشفيات وهو يقلب، ويبحلق، ويقرأ فِي نسخَة من مجلَة (لوبوان) الْفَرَنْسِيَّة :

هل لاحظتَ الشَّبه فِي الرَّسم بين وجه الرَّسول ووجه الإمام عَليّ ؟!

نعم تكاد تكون الْملامح واحدَة فِي الْعيْنين والذقن،هل لهذا معنى ؟!

الرسم مدروس، ومجلَة (لوبوان) الْفَرَنْسِيَّة ليست سهلَة ولا خفيفَة إما أن يَكُون الرَّسام تأثر بالشيعَة الْغرابيَة * أو يريد أن يشير لنظريَّة أنَّ لكل نبيٍّ وصِيًّا **

تدخَّلت لِبنانيَّة فِي الْمجموعَة، وكانت أوَّل لِبْنَانِيَّة مُحَجَّبَة أراها حتَّى هَذَا الْوقت فِي فَرَنْسَا ؟! كانت ترتدي عباءَة أنيقَة تشم فيها رائحَة الْعنبر، وحِجاب زاهي الألوان، كانت بدون مكياج وبكحل خفيف فِي الْعيون .

---

* الشيعة الْغُرابية تعتقد أن بين الرَّسول محمد والإمام علي تشابه خُلَقي، وخِلْقي . وصل إِلَى حد أن جبريل "ملك الْوحي" أخطا فِي توصيل الرِّسالَة "الإِسْلام".. فبدلا من أن ينزل بهَا على الإمام علي جعلها فِي حضن الرَّسول محمد!!

** هي فلسفَة دينية للشيعَة الاثنا عشرية تقوم على أنَة لكل نبي وصي .. وأن الإمام علي هو وصي الرَّسول محمد. وأن الأرستقراطيَة فِي قريش حالتْ دون ذلك؟! على تفاصيل أرجعت الأمر ليوم السقيفَة بعد وفاَة الرَّسول الْكريم .

هذه أوَّل مرَّة تُرْسم فيها سِتَّنا فاطمَة كيف حدث ومن يجرؤ؟

!قلت: الرَّسم ليس فيه فحش أو تعريض، والفرنسيون لا نُعَامِلُهم بالنَّص الْمُقَدَّس لدينا،وهم يرسمون رموزهم الدِّينِيَة الْمسيح، ومريم الْعذراء والعائلَة الْمُقَدَّسَة !!

تلقَّيْتُ الْعِتَاب من الْعُيون حتَّى عيون زوجتي . وقف الْباص أمام مستشفى لعلاج السَّرَطَان، كان معنا هدايا رمزيَّة، بدا تلقين الأمَّهَات لصِغَارِهن عن كَيْفِيَّة تقديمها للمرضى بابتسامَة، تلقى الصَّغِير "علي" من أمه الْمأمُوريَة باستعداد مُرضِي، كان هُنَاكَ تعقيم قبل الدُّخُول عبارَة عن كيس نايلون يُلْبس على الْحذاء وجونتي فِي اليد، الأطفال اعتقدوا أنها لعبَة الألَمْ واليَأْس فِي عيون الْمرضى، لكنه عند مُرَافِقِيهم أضعاف مضاعَفَة؟! وجودُنا مَعَ الْفرحَة فِي عيون الأطفال وهم يقدِّمون الهدايا خفَّف كثيرا، النِّساء فِي الْمجموعَة لهن وقع السحر، فبينما الرِّجَال فِي صمت، كن هن فِي حركَة وثرثرَة وقُدرَة على تجاوز محنَة الْمرض الخبيث !! التّنوع فِي نساء الْمجموعَة من حيث اللغات والجنسيات جعلهن يعملن فِي تناغم، زوجتي تحتضن زوجَة مرافقَة لزوجها الْمريض،وهو ضابط مصري من الْمَظَلَّات لا أعرف كيف تستدعي زوجتي النَّص الْمُقَدَّس فِي حديثها فيكون نسمَة، بلسم شفاء، بردا وسلاما !!

الْمؤمن مصاب.. ومع الْعسر يسر . ثقي فِي شفاء الله.

إنه يَنْقص كل يوم ١٥٠جراما، إنه بطل رياضي وليس مجرد ضابط عادي.

اللِّبْنَانيَّات يُدِرْن مَعَ الْمرضى أنفسهم الْحديث بعُذُوبَة وفُكَاهَة ..لقد لغين من أذهانهن أنهم مرضى، فهل حروب لبنان الدَّاخليَة أعطتهن مَيْزَة الخِبرَة ؟! كن فوق الْموقف بالنِّسْبَة للرجال الْمرضى الَّذِين بدون مُرافِقين، وَصَلْنَ معهم لِحَدِّ التّدَّليل ومُسَاعدَة الْمُمَرِّضات، والْمُحايلَة لتناول الدَّواء والطَّعام وصل الأمر لحَدِّ الْعِنَاق والقُبلَة على الرَّأْس والخد .قد يدخلنَ الْجنَّة بفعلهن!! أعتقد ذَلِكَ ..فأنا نوع من الْبشر لا أرى إلا اللهَ الرَّحيم. الْمرضى الآن أفضل، لمعَة الْعيون فيها بَصِيص أمَل أيَّتُها الْمرأة ما سِرُّكِ ؟! لم يُسْمَح لنا ولم يكن لَدَيْنا كرجال نفس الْقُدرَة والهمَّة مَعَ الْمَريضات!! كان سُقُوط الشَّعر كَأَحد أعراض هَذَا الْمرض جعلهن يرفضن مُجرَّد الزِّيارَة والسَّلام فانشغلت النِّساءُ بالنِّساء والرِّجال معًا.

- النبى فى مجلَّة (لوبوان) الْفَرَنْسِيَّة:

تبدأ الْمَجلَة مَلفَّها بالقول: لم يتردَّد اسمُ رَجُلٍ مثلما يتردد اسمُ مُحَمَّد، ولم يُؤَثِّر رجل فِي أرْوَاح وقلوب هَذَا الْكَمِّ مِنَ الْبَشَر مثلما أَثَّر مُحَمَّدٌ .. اسمه يتردد يوميًّا على أَلْسِنَة مليار مسلم حول الْعالَم، وحاليًا يُعد دينُ الإِسْلام الدِّين الثَّاني فِي فَرَنْسَا بعد الْمَسِيحِيَّة مِن الْمُستَحِيل تَحْدِيد الْيَوْم الَّذِي وُلِدَ فِيه مُحَمَّد يُقَال إنه ولد فِي مكَّة وقتَ حُكم الْمَلِك كسرى الأَوَّل عاهِل الْفُرس أي قبل عام ٥٧٩ ومن الْمُرَجَّح أن يَكُون قد وُلِدَ بين ٥٦٧ و٥٧٣ وَيُؤَكِّد الْمؤرِّخون الْعَرَبُ كل ما حدث فِي مَكَّة فِي عام الْفيل الشّهير الَّذِي من الْمُرَجَّح أنه كان عام ٥٧٠، فِي ذَلِكَ الْعَام كان مَلِكَ الْيَمَن أَبْرهَة يَسْتَعِدُّ للدُّخول إِلَى مَكَّة واستطاع تدبير جيش ضخم واصطحب معه فِيلا خارِقَ الْقُوَّة ثُمَّ تَوَجَّه إِلَى مَكَّة،وتَفْشَل حربُ أَبْرَهَة الْمقصود بِهَا الْكعبَة ذاتها بِإِرْهَاصَة تُشْبه الأَسَاطِير سَجَّلَها الْقرآن فيما بعد،ولا تكتمل الْقِصَّة إن لم نذكر أنه عند دخول أبرهَة إِلَى مَكَّة وجد نفسه يُوَاجه رجلا قوي الْمِرَاس أَلا وهو عبد الْمُطَّلب الَّذِي حذَّر أبرهَة مِمَّا سيُلاقِيه إن حاول تدنيس الْكعبَة، وَكان عبدُ الْمُطَّلب ذَلِكَ الرَّجل الشُّجاع هو جَدُّ الرَّسول مُحَمَّد .كان ابنه اسمه "عبد الله" وتزوَّج عبد الله من فتاة من أسرَة كريمَة، وكان اسمها "آمنَة" ونتج عن هَذَا الزَّوَاج ولد واحد وهو مُحَمَّد، لكن عبد الله لم تُتَح له الْفرصَة لِرُؤْيَة ابنه ،فبعد زواجه بفترَة قصيرَة، وفي أثناء عودته من رحلته بسوريا تُوفِّيَ وترك لزوجته خادمَة كبيرَة السِّن، وخَمْس ناقات وجَنِينًا، وَيَقُول الْمُؤَرِّخ الإِسْلامي ابن سعد: إن آمنه قد سمعت صوتا يَأمُرُها أن تُطْلِق على ابنها اسم (أحمد) وتُوجد نظريَّة تقول: إن رجلا عربيًّا مسيحيًّا يتحدث اليُونانيَة أشار على آمنَة بذلك لكي يتواءم اسم مُحَمَّد مَعَ الإنجيل، وفيه على لسان الْمسيح لأتباعه (إذا لم أتركم لن يأتي (الْبيريكليتوس) إليكم، لكن إذا تركتكم سوف يبعث إليكم، وبمجيئه سوف يفرض على الْعالَم الْعدل والْحِكمَة) * ومعنى كلمَة (الْبيريكليتوس) اليُونَانيَّة أحمد أو مُحَمَّد أو محمود ،وبالطَّبع اعترض الْكثير من الْمسيحيِّين على هذه التّرجمَة وقالوا: إن الْمسيح تفوَّه بكلمَة مختلفَة وإن الْكَلِمَة نُقِلت خطأ وإن الإِنجيل لم يتنبأ قطُّ بمجيء مُحَمَّد .ومن جهَة أخرى قال أحد صحابَة مُحَمَّد "الشَّاعر حسَّان بن ثابت": كنت فِي السَّابعَة أو الثَّامنَة من عمري عندما سمعت فِي شوارع الْمدينَة رجلا يهوديا يصرخ بأعلى صوت مُنادِيا

* - قصد هُنَا ما جاء فِي إنجيل "برنابا" الَّذِي لم تعترف به الْكنيسَة ؟!

رفاقَه فِي الدِّين، وعندما تجمَّعوا كلُّهم قال لهم(فِي هذه الليلَة بَزَغ نَجْمُ (أحمد) وهو نبأ مَوْلِده. وفِي سِنِّ السَّادسَة فقَدَ مُحَمَّد والدته أثناء عودتها من رحلَة إِلَى الْمدينَة ،وانتقل مُحَمَّد ليعيش مَعَ جدِّه عبد الْمطلب الَّذِي تُوُفِّي بعدها بعامين ومع أبي طالِب سافر مُحَمَّد إِلَى سوريا فِي عامه الثَّانِي عشر على رأس قافِلَة تجاريَّة،وعند وصولهم إِلَى جنوب دمشق توقَّفُوا وكانت هذه الْمنطقَة مَقَرَّ وقوف الْكثير من الْقوافل ومركزًا للكثير من الْمسيحيين،والْتَقى مُحَمَّد براهب مسيحي اسمه (بحيرى) وهذا اللِّقَاء مذكور فِي الْقرآن فِي سورَة الْمائدَة * وتحكي الْمجلَة بعد ذَلِكَ أن بحيرى طلب من مُحَمَّد الرُّجوع إِلَى مَكَّة، ثم قام بفحص ظهره ووجد دليلا أَقْنَعَه بنبوَّة مُحَمَّد فقال الرَّاهب لأبى طالِب.(ارجع إِلَى بلدك واحرص على هَذَا الصبي من اليهود فوالله إن رأوه سوف يلاحظون ما لاحظته أنا ويضرُّونه ضررا بالِغًا .) ومن هذه النُّقْطَة يَتَّضح أن صلَة مُحَمَّد بالْمَسِيحِيَّة بدأت مُبكِّرًا .؟! هكذا تقول اللومند

تعوَّد مُحَمَّد على عادَة جديدَة وهِيَ ذهابه كثيرًا إِلَى غار حِراء الَّذِي يُوجَد على بُعد عدَّة كيلو مترات من شمال شرق مَكَّة، حيث كان يتأمَّل "يتحنَّث"ويتعبَّد وتَصِف الْمجلَّة أيضًا كيف نزل على سيِّدنا مُحَمَّد - صلى الله عليه وسلم- الْوحي. فتقول : وفِي يوم تمَّ تحديده على أنه يوم ١٩ مارس عام ٦١٠ م جاء إِلَى مُحَمَّد الْقدَرُ الْمكتوب، ونزل عليه الْوَحْي الإلهي. حدَّث هو بذلك فقال: فِي ليلَة من الليالي الَّتِي كنت أقضيها فِي غار حِرَاء جاء إِلَيَّ جبريل ومعه كلام مكتوب وقال لِي: اقرأ .ومن هُنَا وُلد الْقرآن، وقد طلب الْقرآن من مُحَمَّد الهدوء فِي تصرفاته والْحفاظ على حكمته وعدم التّعجُّل فِي قراءَة الْقرآن .

السم فى عسل مجلة (لوبون) ؟!:

من عام ٦١٠ م حتَّى ٦١٣ م كان مُحَمَّد رجلا يكتنفه الْغموض ولم يشكَّ أحد أنه قريبًا سيقلب موازين مَكَّة تماما وببطء كَوَّن مُحَمَّد دائرَة تكوَّنت من أربعين مُسلما تبعوا دينه الْجديد .مُحَمَّد أراد إعادَة تشكيل نظرَة مَكَّة إِلَى الله، وتوضيح أعماق الإيمان بالله وضرورَة وضع ذَلِكَ الإيمان فِي إطار فعلي فِي (الْحياَة الْعَمَلِيَّة). ويقول (تور اندري)لقد أكَّد الْمسيح رسالَة موسى أمَّا مُحَمَّدٌ فقد أكَّد رسالَتَيِ اليهودوالْمسيحيِّين

* - لم أجد فِي تفاسير الْقرآن ما يشير لهذا الْمعنى، ولكن وجدت إشارات غير مباشرَة بالسورَة آيَة: ٤٧،٥٩،٨٢

معًا . ولكن كيف يمكن إيجاد الصِّلَة الأصليَة بين قوم الْعرب وقصص الإنجيل ؟ عبقريَة مُحَمَّد تكمن فِي هذه النُّقطَة بالذَّات فسيِّدُنا إبراهيم هو الاسم الَّذِي يدل على هذه الصلَة؛ فقد أخبر الله مُحَمَّدا بالْحلقَة الْمفقودَة عندما أنزل عليه سورَة الْبقرَة. فبالتّالي لم يكن سيدنا إبراهيم يهوديا، بل كان حنيفا أي من أوَّل النَّاس الَّذِين اعتقدوا فِي وُجُود إله واحد لا إله إلا هو، أي من أوائل الْمسلمين. وزيادَة على ذَلِكَ كان إبْرَاهِيم والد سيدنا إسْحَاق أبا قوم اليهود. وهو أيضًا والد إسْماعيل من جد أقوام الْعرب (فبالتَّالي يُمثِّل مُحَمَّد صلَة فوريَّة بين إبْرَاهِيم والعرب). ولكن لله أسبابه فِي إعطاء كل قوم تعاليم تختلف عن غيرهم من الْقوم؟!،فمُهِمَّة مُحَمَّد الأساسيَّة كانت تتمثل فِي إعطاء الْعرب إرشادا وتعاليم يتَّبِعونها !!ولهذا السبب بعث الله بآياته لمُحَمَّد باللُّغَة الْعربيَّة، ولغَة عربيَة نقيَّة وفصيحَة. (بدى لى السم فى العسل فى الحديث عن عبقرية فكرة اخترعها الرسول لتقريب الدياتات من سيدنا إبراهيم؟!كمدخل للدين الجديد ثم القول بأن هذا الدين للعرب من ينطقون العربية؟!)

فِي الْفترَة من يونيو إِلَى سبتمبر عام ٦٢٢ قام حوالي سبعون مسلم بالرحيل عن مَكَّة متوجِّهون إِلَى الْمدينَة ووصل مُحَمَّد أخيرًا فيما يعرف "بحادث الهجرَة" ففي يوم ٢٢ سبتمبر عام ٦٢٢ م توجَّه مُحَمَّد إِلَى الْمدينَة ومعه صديقُهُ وسَاعِدُه الأيمن (أبو بكر الصِّدِّيق) فِي رحلَة بهَا الْكثير من الْمَخاطر ووصل مُحَمَّد. وبدأت أعظم مرحلَة من تاريخ الإسلام مرحلَة الهجرَة، فمنذ ذَلِكَ اليوم عام ٦٢٢ بدأ نظام الشُّهور الهجريَّة الَّذِي يتبعه الْمسلمون وقد حاول مُحَمَّد إرساء علاقات طيِّبَة مَعَ اليهود والتَّقرب إليهم لكن اليهود لم يُعطوه الْفُرصَة فظلَّ مُحَمَّد على علاقاته الطَّيبَة مَعَ الْمسيحيين الَّذِين كانوا يمقُتون اليهود ويتَّهمونهم بأنهم قتلوا الْمسيح. لكن الَّذِي يظن أن مُحَمَّدا كان يحيا فِي غِنا ونَعِيم مُخْطئ فهو وأتباعه كان عليهم الْعمل جاهدين لتَوْفير سُبُل الْعَيْش فيُقَال أثناء وجود الْمسلمين فِي الْمدينَة كان علي بن أبي طالِب يحمل الْماء للمسلمين ويحصل على ثمرَة واحدَة من الْبلح على كل دلو من الْمياه يأتي به . وفِي عام ٦٢٧ فِي الْعام السَّابع من الهجرَة أصبحت الْمدينَة دولَة لها وضعها ووزنها ومن هُنَا بدأ الْمسلمون فِي اتِّباع التّعاليم الْعَمَلِيَّة للقرآن وتطبيقها على حياتهم لِتُساعدهم فِي حياَة ناجحَة .وهنا وُلِدَ الْمجتمع الإِسْلامي (الأُمَّة) وبتحقيق مُحَمَّد للمكانَة والسُّلطَة فِي الْمدينَة لم يبق أمامَه سِوَى تحقيق ذَلِكَ فِي مَكَّة، ففي مارس عام ٦٢٨ قرر مُحَمَّد التّوجُّه مَعَ الْمسلمين إِلَى مَكَّة فِي موسم الْحج لزيارَة الْكعبَة لكن الْقرشيين منعوه من

دخول مَكَّة وطالَبوه بالتّوقف والعسكرَةفِي الشّمال بالْحُديبيَة وهنا حدث صُلح بين الْمسلمين والقريشيين سمي (صُلح الْحُديبيَة) نَصَّ على: ألا يدخل مُحَمَّد مَكَّة هذه الْمرَّة بينما يستطيع الْعوْدَة فِي الْعام الْقادم فِي مقابل إيقاف الْمَعارك بين الْمسلمين ومكَّة لِمُدَّة عشرَة أعْوَام وقد عدَّل الْقُرَيْشِيّون (أهل محمد) فِي الْمعاهدَة فشطبوا النَّص على نبوَّة محمد فيها !! وفي يوم ١١ يناير ٦٣٠ م دخل محمد إِلَى مكَّة فِي سلام، وبعد حصوله على ولاء أهل مكَة توجه مرَّة أخرى إِلَى الْمدينَة، وبعد أن تأكد محمد من أمن الْمنطقَة للمسلمين، عاد محمد مرَة أخرى إِلَى مكَة من أجل الْحاج وهو ركن مكمل فِي دينِه وألقى (خطبَة الْوداع) فِي مارس ٦٣٢ م، وبعودته للمدينَة أصاب محمدا الْمرض، ومكث فِي بيت عائشَة الَّتِي كانت أحب زوجاته إِلَى قلبه،وفي يوم ٨ يونيو عام ٦٣٢ م انتقلت روح محمد للرفيق الاعلى

*انتهت الزيارَة،وفي الْباص انفجر نساء الْمجموعة فِي حنق ويأس ودموع، سمعن أكثر، ورأين أوضح، وتألَّمن أعمق. فالعلاج الْكيماوي يضعف النَّظرويؤثر بشدَّة على وظائف الْكبد، وكان موضوع فقد الإخصاب الأكثر تأثيرا!

زوجتي: بعد اللي شفته لسه حتدخن؟ !.ارمي الزفتة دي. كانت تقصد السيجارَة اللبنانيَّة: طيب والضابط الْمصراوي ده عمره ما شرب سيجارَة؟ وكان بطل رياضي فِي السباحَة، وبيقفز بالْمظلات، الْقدر له أسبابه الَّتِي لا نعرفها. . كفانا الله شرَّه، ولطف بنا فيه.

الإيراني: لا يغني حذر من قدر؟ !

زوجتي: ولكن أين الْحذر لنحيل للقدر؟ إننا لا نأخذ بالأسباب لقد فكرتموني بعبد النَّاصر، وهو يقول لا يغني حذر من قدر، يوم النَّكسَة، وكأنه حارب ولم ينسحب جيشه!! على كل حال فأنا أفكِّر فِي مُعاودَة الزيارَة، ومن يريد نسجل اسمه، وعنوانه، فلدي وقت فِي فرنسا. وتستمر: ألم تسمعوا أن الْبهجَة تقوي جهاز الْمناعَة، لقد كان الْفراعنَة يعتقدون بأن الإنسان يصل لأبواب الْجنَّة فتسأله الآلِهَة سؤالين بهَا يقبل أم لا .؟هل شعرت بالْبهجَة فِي حياتك؟!هل تسببت فِي منح الْبهجَة للآخرين؟

---

* *كل الْمذكور عن مجلَّة (لوبوان) الْفَرَنْسِيَّة - مُترجَم بدِقَّة كما نشر، فليس فِي الأمر تصرُّف، أو خيال روائي.*

٢

لم تنس زوجتي، الْباشا جدها - الَّذِي وزع أرضه عبد النَّاصر على الْفلاحين فيما يعرف - بالإصلاح الزراعي – فردت له أمر قديم وفي فرنسا! أحَتَّى الآن؟ ولا بأس أن تعرفنا بالْمرَة دراستها للفراعنَة والآثار.

قلت فِي حنق: ألا تمنحيني الْبهجَة وتتركيني أدخن !!

أتذكرها .. أين بهجَة "زبيدَة"؟ أين حضنك؟ أين حزنك؟ أين أيامي الَّتِي ضاعت مني قبلك؟ أين علامات الشّفايف الْحمراء فوق تبغَكَ؟!

وصل الْباص بنا إِلَى مكان الْمؤتمر. كانت مظاهر الصوفيَّة باديَة على الاحتفال، الْمغالاَة فِي الْغيب، والذكر. الصوفيَّة هو علم الْحقيقَة وهو يقوم على أساس من الشّريعَة الإِسْلامِيَّة، وهو يتم تلقينه عن طريق الصلَة بين الشّيخ والْمريد، وهي علوم مشاهدَة وذوق، ولهم لغَة شفَّافَة تحتاج لشروح حتَّى إن كتاب الْفتوح الْمكيَّة لابن عربي تم شرحه فِي أكثر من ٤٠ كتابا لمحققين مختلفين. وكلمَة صوفيَّة اختلف فيها فقيل: إنها من كلمَة "سوفيا" اليونانيَّة ومعناها الْحكمَة. . وقيل: إنهم أهل صُفَة مسجد الرَّسول الأول فِي الْمدينَة الْمنورَة، وقد كانت هُنَاكَ جماعَة تقيم فِي الْمسجد يعبدون ويقبلون على الله فإذا نادى منادي الْجهاد خرجوا محاربين عرفوا بأهل الصُّفَة. وفي الْمعنى الْعارفون بالله. وأخيرا قيل: إن الصوفيَّة من الصوف التّقشف والزهد فِي الدُّنْيَا. وفي أحوالهم يقول الإمام الْغزالي: "إنهم من تولى الله أمر قلوبهم. ففاضت عليهم الرَّحمَة وانقشع عنهم الْحجب وجاءهم علم من لدنه سبحانه". وكان مِمَّا طرق سمعي وأعجبني أنا وزوجتي حتَّى وصل بِهَا الأمر لتسجيله ما توارد أثناء الاحتفال من أقوالهم الْقديمَة: "الدُّنْيَا كنهر طالوت لا ينجو منها إلا من لم يشرب أو اغترف غرفَة بيده لا من شرب على قدر عطشه "فافهم". وكذلك ما قالَه أحمد بن مسروق: مَن تَرَك التّدبير فهو فِي راحَة. وسهل بن عبد الله: ذروا التّدبير والاختيار فإنهما يكدران على النَّاس عيشهم. وقيل: من لم يدبر دُبِّر له. وما جاء فِي وعظ قيل: لا يكن تأخر أمد الْعطاء مَعَ الإلْحاح فِي الدعاء موجبا ليأسك فهو ضمن لك الإجابَة فيما يختارَه لك لا فيما تختارَه لنفسك، وفي الْوقت الَّذِي يريد، لا فِي الْوقت الَّذِي تريد. وقول الشّيخ أبو الْحسن: اللهم إنا قد عجزنا عن دفع الضرر عن أنفسنا من حيث نعلم بما نعلم

فكيف لا نعجز عن ذَلِكَ من حيث لا نعلم بما لا نعلم؟ ؟ وعن أهميَّة الدعاء وأنه مخ الْعبادَة قيل: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْ عَبْد يَدْعُو بِدَعْوَةٍ، لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلاَ قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلاَّ أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاَثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا". وعن الاعتماد على النَّفوس والأعمال وأنها من علامَة الشّقاء والْبؤس "فإذا نسيت نفسك ذكرت ربك قال تعالى: واذكر ربك إذا نسيت، فسبب التّعب هو ذكر النَّفس، والاعتناء بشؤونها، وأما من غاب عنها فلا يلقى إلا الرَّاحَة. وفِي هَذَا قال صلى الله عليه وسلم: "لن يدخل أحدكم الْجنَّة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته". وزعوا علينا أوراق النَّهايات، كما يحدث فِي ختام الْمناسبات، كان فيها التّبشير بفقه الْغربَة، فقه الضرورَة، فقه الأقليَة، وشعرت معها بالغربَة واحتياج الْمسلمين لوطن أصلي لا وطن غربي بديل. تمسكوا معلنين مسلمين فِي أوراقهم، بمبدأ الْمجتمع الْمحتشم، ويعتبرون أن الاحتشام هو الأصل والقاعدَة فِي الْمجتمع الإِسْلامي ، وأن الْفصل بين الْجنسين لا أصل له فِي التّعاليم !! وإنما هو سلوك نابع من التّقاليد، بالتّالِي فإن الْمحاضرات والندوات والعمل تتم بمشاركَة من الْمجتمع دون حائل أو عازل، ودون خلوَة بطبيعَة الْحال. جعلوا الْحجاب فقط شرط لدخول الْمسجد وأداء الصلاَة؟ ! شجعوا الانخراط فِي الْمحيط الْغير إسلامي، والْمنطلق الأساسي لفقه الأقليَة هو كيفيَة تطبيق شريعَة الله وتعاليمه ليس على مستوى الدولَة ولكن فِي إطار الْجماعَة الصَّغِيرَة الْمسلمَة ثم صياغَة فقه بنائي لا يقطع صلَة الأقليَة بالْمجتمع، ولكن يقيم هذه الصلَة على أساس من الإدراك لطبيعَة وضع الأقليَّة وسط محيط الأغلبيَّة مِمَّا يضيق أحيانا من خيارات الأقليَّة. تصبح الخيارات الآن ليس بين معروف ومنكر، ولكن بين منكر ووضع آخر أشد إنكارا، وهو وضع تعرض له الأصوليون ودعوا فِي تلك الْحالَة الأخيرَة إِلَى الإبقاء الْمؤقت على الْمنكر تجنبا لوقوع ما هو أسوأُ منه وأنكَرُ. ففي نطاق الْمعاملات مثلا هُنَاكَ قضايا كثيرَة تصادف الأقليَّة الْمسلمَة ماذا يفعل الْمسلمون الذين يشتغلِون فِي الْمطاعم وليست لديهم فرص عمل أخرى بينما تقدم هذه الْمطاعم لحم الخنزير أو النّبيذ وغير ذَلِكَ مِمَّا هو محرم شرعا، هل يستمرون فِي أعمالهم ويقدمون هذه الْمحَرَّمات للناس؟ أم يتركون تلك الأعمال ويقعدون عاطلين؟ كانت الإجابَة: يستمرون فِي أعمالهم، ويقدمون هذه الْمحرمات ولكن لا يشربون ولا يأكلون بل مطلوب منهم ألا يغشون فيما يفعلون؟ !

دار الحرب ودار السلام؟ !

كل الدّول الَّتِي ترتبط بالْمسلمين بمعاهدات أو مواثيق ولا تقوم بدور الْمحتل أو الْمعتدي هذه الدّول جميعها هي دار عهد وأمان من النَّاحيَة الشّرعيَّة وليس لأحد بأي حال أن يصنفها بحسبانها دار حرب فواحدا من أكبر أئمَّة الْمسلمين هو الإمام الشّافعي قال: إن الأصل فِي الأحكام أن الدُّنْيَا كلها دار واحدَة. إن نصوص الْقرآن دعت إِلَى مسالْمَة كل الْمسالمين ونهت عن الْعدوان على الآخرين، ونضيف هُنَا أن تلك النَّصوص قررت أن الله سبحانه وتعالى خلق النَّاس مختلفين لِحِكمَة أرادها وقرر فِي الْقرآن أنه خلقهم شعوبا وقبائل كي يتعارفوا. لا أن يتعاركوا، أو يتغول طرف على آخر. وأن الإسلام مُنْذُ نزل أقام سلاما مَعَ مخالفيه حين اعترف بالديانات السَّابقَة من مسيحيَة ويهوديَة واعتبر أتباعها أهل كتاب. كان شرح مصطلح "الجهاد" مهما وواضحا وبعيدا عن استخدام الْمصطلح لانطباعات الآلَة الإعلامية الْغربية الَّتِي دأبت على تصوير الْجهاد باعتباره فزاعَة تخيف الْعالم وحربا مقدسَة ضد الآخرين لا يخرج منها الْمرء إلا قاتلا أو مقتولا. الجهاد الإِسْلامِي الذي نعرفه فِي ديننا شيء أكبر بكثير من الْحرب الْمُقَدَّسَة فِي الْمفهوم الْغربي، هو ليس قتالا ضد الآخر ولكنه يبدأ جهادا للنفس ضد الأهواء والشهوات والشرور وينتهي جهادا ضد الظلم وينتهي جهادا ضد أعداء الله الذين يحاربون الْمسلمين ويفتنونهم فِي دينهم. لقد جاء رجل إِلَى النَّبي عليه الصلاة والسلام يستأذن فِي الْجهاد، فسأله النَّبي: أحي والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد. ولأن الْمسلم يعترف أنه يمكن أن يجاهد بقلبه ولسانه وماله كما يجاهد بنفسه وسلاحه، فقد قال فقيه كبير هو الْحسن الْبصري: إن الرَّجل ليجاهد وما ضرب بسيف يوما من الدهر؟!.

كان هُنَاكَ اعتراض على مخاطبَة الْمسلمين وكأنهم من همل الْبشر الجهلَة الذين لا يعرِفون ولا يحترِمون الْقانون الدولي الْحاكم للجماعات الإنسانية الَّتِي تعيش على هَذَا الْكوكب لأن لهم مرجعية أخرى هي الْقانون السماوي الأعلى. . يناقض ما يطنطن به فقهاء الْقانون الْغربيون تحت مسمى الْقانون الطبيعي ويعتبرونها مرجعية كثير من الْمبادئ الْقانونية الْعامَّة، لأن الْقانون الطبيعي ذاته نابع من تراث الإنسانية ومفاهيم الأخلاق وهِيَ دوائر تستمد وجودها من الأديان السماوية، ثم أننا لا نعتبر أن الاعتزاز بمرجعية الشّريعَة الإِسْلامِية تنفي فكرَة الْقَوَانِين الْوضعية الَّتِي تسير شئون النَّاس وتحقق مصالحهم. إن الْعالم الْغربي لم يعرف فكرَة الْقانون

الدولي ولا الْقانون الْبحري إلا فِي الْقواعد والْمبادئ الَّتِي أرساها الْمسلمون، وقدمت قائمَة بست عشرَة رسالَة دكتوراه فِي مصر وحدها حققت هذه الْمسألَة وأصلتها بينها خمس رسائل على الأقل لمسلمين فِي فرنسا ذاتها.

"الْجزيَة" و "أهل الذمَة" استوجبا بحثا فِي أوراق خاتِمَة الْمؤتمَر، جاء فيه: الذمَّة فِي اللغَة الْعربيَّة وفي مفهوم الْفقه الإِسْلامِي تعني الأمان وهِيَ لا تربط بأي معنى على الْعكس كان الْعربي يمتدح الْقوم بأنهم "لهم ذمَّة" وفي كلامنا الْمعاصر إذا استحلَفنا شخصا بأمر عزيز قلنا: بذمتك. إذن الذمَّة ليست أمرا مذموما. . فالذمَة (عقد) سنوي لم يعد يعقد مُنْذُ قرون طوال، فقد صار النَّاس يعلنون الْحرب معا ولا يدافع بعضهم عن بعض مُقابل ضريبَة سنوية هِيَ الَّتِي كانت تُسمَّى "الْجزيَة" وبالتَّالي فلا معنى أصلا لطرح هَذَا الأمر من الأساس. ففي الزمن الَّذِي كان فيه تقليد "الْجِزيَة" معمولا به كان هُنَاكَ أيضا "الخراج" وسيلَة من وسائل تمويل الدخل الْعام الَّذِي ينفق منه على الْمنافع الْعامَّة ومتطلبات الدفاع، فالجزية والخراج هما: الضرائب الْعامَّة. الَّتِي يدفعها الْمسلم تحت اسم الخراج وغير الْمسلم تحت اسم الْجزيَة. وقد أسقط عمر بن الخطاب "الخليفَة" الْجزية عن أهل قبيلَة (تغلِب) الَّتِي كانت من كُبْريات الْقبائل الْمسيحية فِي الْعراق. كما أسقطها عن الشّعوب غير الْمسلمَة فِي آسيا وأسقطها عن بعض نواحي أنطاكيَة فِي مقابل بعض التّسيهلات (اللوجستيَة) الَّتِي تعهدوا بهَا لأي شيخ ضعف عن الْعمل أو إصابته بآفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت عنه الْجزية وعيل (حصل على راتب) من بيت مال المسلمين. وعندما وجد الخليفَة عمر بن الخطاب يهوديا (شحات) وعرف منه أنه لا يملك شيئا ولا يستطيع دفع الْجزية أعطاه من ماله الخاص. ثم أخذه إِلَى خازن بيت الْمال (وزير الْمالية) وأمره أن يُسقِط عنه وعن أمثاله الْجزية، وبعده بزمان كتب الخليفة عمر بن عبد الْعزيز إِلَى نوابه فِي الأقاليم والْبلا د " إن كان عندكم من أهل الذمَة مَن كَبُر سِنّه وضعُفت قُوَّته وولّت عنه الْمكاسب فأَجْروا عليه رزقا (رواتب) من بيت مال الْمسلمين."

الفصل الثالث

١

- أتريد قهوَة؟

" يا مين يقول لي أهوى. أسقيه بإيدي قهوَة. . أنا. . أنا. . أنا أهوى "

يأتي الصوت فيحتال عليّ. .أهو من "زبيدَة" الْغائبَة. أم هو صوت زوجتي؟ يخذلني صوتي فلا يخرج بالرد. . وتأتي الذكريات.

وضعت زوجتي الْقهوَة الْجاهزَة فِي فنجان، ووضعت جواره ملعقَة وقطعَة سكر، تركتْه أمامي. أما "زبيدَة" الْمَغْرِبية فهِيَ ترفض هَذَا الإيجاز، صينية فضية عَلَيْهَا كنكَة نحاسية لقهوَة سوَّتْها النَّار فصار لها قوام "وش" وفنجانان عليهما رسم لقلب أحمر، وسحاحَة مغموسَة فِي أنبوبَة بِهَا ماء الْورد، وصحن به بلح. بل إنها غيرت قميصها- فجاءت بقميص نوم أصفر؟ ! فإذا رفعت الْفنجان لأرشف الْبن.. .

قالت: قهوتي مُرَّة يمكن أن تتناول معها التّمر.

وإذا شربت الْماء. . رفعت السحاحَة بسرعَة لتضيف لها ماء الْورد، إنها امرأة تفرد ما عندها. . تلبس كل ما عندها. . وتقول كل ما تعرف. ارتشفت آخر شفطَة فِي فنجان الْقهوَة الْمُرَّة أيضا!! وقد لاحظت أني شربتُه بمرارته دون سكر على عكس مزاجي! قلبت الْفنجان ولكن من يقرأ الغيب الْمحوّج؟! اشتقت "زبيدَة" لأحاورها .هذه الْمرأَة الْمنفلتَة من النَّص، أتشوق لصدفَة تجمعنا. من الْمؤكد سيكون لها مدخل مختلف فِي الأمر، اذهب للحمام لأحلق ذقني، صورتي فِي الْمرآَة تؤكد أنّ الْعمر مر تجاعيد تحت جفون الْعين، اللون الأبيض يزرع جذوره فِي الشّعر ما فِي الْقلب يصغر عن ما بدا فِي الْوجه بعشر سنين!!أحان الْوقت لطفل آخر حتَّى لا أترك ولدي وحيدا؟ هل يترك الْقدر لِي الْقدرَة على اختيار متى يأتي الأولاد؟ أئذا تركت زوجتي الْحبوب إياها، أو مجرد وجودي الذُّكُوري معها. يأتي بالْحمل؟ أم أنّ هُنَاكَ أشياء حدثتْ لدينا. وبنا

أعجبها الْوضع الْحالي؟! إن (علي) جاء واللولب موضوع ؟!ولذا تعاملنا مَعَ الْحبوب. أكانت هِيَ الْحقيقَة؟! أم ضجر أنثوي من رجل تخاف هروبَه.. فكذبت الْعلم بالْكيد ؟! أكان فِي عيني بيان الْفرا فخلعت اللولب باردَة منفردَة لها ما يبررها من خوف و ضجر أنثوي وشبح امراة اخرى؟! أم هو استثناء الْعلم؟!.يا للنساء. ! على كل حال بقي للحكاية نكهَة الْفحولَة. حين أحكي بأن الْعلم لا يقف فِي وجه قوَة الرَّجل، الْجامح، الطامح فِي الْعشق،وأضرب بنفسي كمثال، فتطمع بعض النِّساء فِي هذه الأُعْجوبَة!! وتعتقد أن مجرد روايتها غزل أو عرض ينتظر الطلب؟! ولكن تبقى الْحقيقَة عند زوجتي، والطبيب الْمعالج!

عاودت الانتظام اليومي بالْمحاضرات فالتّرم الثاني من الْمنحة الدراسية كان مكثف الْمنهج كما أني كنت أتردد على مكتبة الْجامعَة كطريقَة للمذاكرَة، وأيضا لحل لوغاريتم الآثار الفرعونية الَّذِي وقع فِي حِجر زوجتى فجأة !! غير أنّ حقيقَة الأمر وبواطنه فِي هَذَا الالتزام الَّذِي وصل إلى حد التزام تلاميذ الدِّراسَة الابتدائية عندنا فِي مصر بالذهاب كل يوم للمدرسَة،أمرآخر؟ كنت أبحث عنها، ولكنها لا تأتى؟! الْمحاضرات الْمشتركَة بين ما أدرس وما تدرس انتهت، وهِيَ بطبيعتها مُنْذُ الْبدء ليست من هواة الْمكتبَة! حتَّى الأماكن الْعامَّة بداخل الْجامعَة حيث كنا نتردد عَلَيْهَا بحثا عن صدفة عمدًا،كانت تجمع الْكثيرين والْكثيرات ولكن ليس من بين الْجميع (المغربية)! لم تأت الصُّدف الَّتِي أريدها، ولكن الْقدر ساق صدفًا أخرى تأتي حتَّى الصُّدف بما لا يشتهي الْعناق! إنها الْفَرَنْسِية سريعَة الْحركَة، كنت أعتقد أن الْجزائري ذبحها إذ عرف أنها تبحث فِي الْحجاب عن جذور الدافع الْجِنْسِي؟ ! ولكن يبدو أن الْجزائريين يملكون من السماحَة وسعَة الأفق أكثر مِمَّا قدرت مَعَ فرنسا ؟! كنا نلتقي فِي نظرات طويلَة تنتهي بأن يَغُضَّ أحدنا النَّظر. . وينصرف، كان من الْواضح أننا مدركين لمعرفتنا السَّابقَة، ولكن مُصرِّين على نفيها! ولكن مَعَ كرم الْقَدَر، واعتياد الصُّدَف تبيَّن لِي أنها أطول مِمَّا قدرت، وأنها دخلت إلى موضة التّايير ولم تخرج منه، تايرات أنيقَة بألوان مختلفَة، ودوما جيب قصير!

٢

أثناء وجودي بالْمكتبَة وجدت كتابًا بعنوان إنجليزي the dramedary وعليه رسم الْجَمَل، وكان معنى الْكلمَة (الْجَمَل الْعربي) اختطفته من الْحامل، فيبدو أنه جاء موعد معرفة معنى "أيُّها الْجمل الصحراوي"من شفتي حبيبتي ابنَة ميركو "كما تحب أن تنطق الْمغرب" أيكون ذَلِكَ سبب الْغياب؟! ألا تعرف أن الله يقول: (أفلا ينظرون إِلَى الإبل كيف خلقت) الْكتاب يقرر أن الْجِمَال تُسَمَّى الإبل عند الْعرب، وأن الذَّكرالْقوي يُسَمَّى هجين والأنثى تُسمَّى ناقَة، وأن الْعرب قبل الإِسْلام كان لديهم عادات مَعَ الإبل؛فالنَّاقَة الَّتِي تلد خمسَة بُطون تُشَقُّ أذنها تعفى من الْحمل والذبح، وأما الْجمل الَّذِي يُعَشِّر عشرَة ناقات فيسمونه (الْحام) الَّذِي حمى ظهره فيُترك لا يُركب،ولا يُنتفع به ولا يَمنع عن الْماء أو الْمرعى !! و للعشق حكاياته فِي دنيا الإبل،فالجمل لا يصبر على الْماء والطعام فقط، ولكنه يصبر على رغبته أيضا! وبالتّالي فالنوق "جمع ناقة"هِيَ الَّتِي تبدأ الغَزَل؟ ! تبحث عن الذَّكر ويُصاحب ذَلِكَ حركَة جسمية كتلاعب ذيلها،أو فتح الأرجل الخلفيَّة.أما الذكر فهو شاعر فِي عشقه فهو لا يُحاول التّقرب بفمه من فتحَة الْمِهبل كمعظم الْحيوانات!! ولكنه يلمس رقبَة النَّاقَة ويُدَغْدِغها،ويُصدر صوت الْقبول للجِماع وهو الْمعروف ب (الْقرقار) فإذا سمعت النَّاقَة (الْقرقار) بركت ونخَّت وركعت فيركبها الْجمل ويحتضنها برجليه الأماميتين. أمَّاإذا لم تكن مستعدَّة تخفض جسمها بهدوء وتعاندالْجمل،فإن الْجمل يعضها فِي رقبتها ويرغمها بالقوَّة على الرُّكوع على الأرْض وهنا يصدر صوت يعرف بـ (الْقصف). يذكر الْكتاب أن هُنَاكَ روايات كثيرَة عن جماع الإبل تختلف هذه الرِّوايات حيث إنها نادرا ما تشاهد وهِيَ تقوم بهذه الْعَمَلِية كما أن أفراد الْقطيع الآخرين يحجبون الرَّؤية عن الإنسان أثناء الأمر!

ومن هذه الرَّوايات ما يُحكى عن "النُّوق الْحمر"وهِيَ الَّتِي تدرك من صوت الذَّكر، ولمسه لرقبتها، ما إذا كان "هجين" أم ضعيف، فلا تترك نفسها إلا للذكر الْقوي (الهجين) فتبرك،وتكون قادرَة على مقاومته ورفضه حتَّى إذا عضها ليرغمها على الرَّكوع، لأنها تدرك ضعفَه فينصرف عنها.

شعرت بيد على كتفي وأنا أسترسل مَعَ الْكتاب. . وعندما الْتَفتُّ وجدتُها. . الْفَرَنْسِيَّة. . وراء ظهري؟ !

فهل ستبدأ الْغزل، أم النَّاقَة الْحمراء ستبدأ معي معركَة أخرى للإبل؟ اعتدلت ناحيتها فِي جلستي واستمرت لحظات الصَّمْت ..قالت: لماذا تهرب مني أتتجاهلني أم نسيتني؟ لن أعطل برنامجك، أريد عنوان الإقامَة، حتَّى أُرسل لزوجتك هدية ردًّا على هدية الْحجاب الأنيق ..فقلت لها: أنت لا تُنسي. من قال لك إني متزوج؟ !نظرت مبتسمة،وكأنها تفكرنى بيوم الاحتفال، ووقتها. . ساعدتها بتعريفها بـ (بورحاب) الْجزائري يالا الغباء الإجتماعى!.

- أتعاني من زهايمر متقطع!نيت يوم المسلمين بفرنسا؟
- هل هَذَا يعوق زواجي من فرنسيَّة؟ !
- ستدخل السجن- ففرنسا- لا تعرف تعدد الزوجات؟
- ألا تجدين لِي حل؟

قامت عاجلَة، فأعطيتها الْعنوان، وانصرفتُ معها، عند مخرج الْمكتبَة، لهوت معها قائلا: مارايك لو اعاونك فى البحث عن الحجاب؟

موافقة فابو رحاب يعاملنى بأنفة وتردد

أن سأعاملك بالعصا والجزرة

كما تعامل امريكا بلدكم؟!

تبدأ النَّاقَة الْحمراء معي معركَة أخرى للإبل؟كيف أأقف فى خدمة من لا يفهم دعاباتى؟!النوق الحمراء مستعدة للعض دوماً؟ !لم ينفع الموضوع

٢

قابلت الجزائرى "بورحاب" على باب مدرج المحاضرات.استقبلنى باهلا مسيو، وبدأت حكاياتة. فهومتحدث لبق،ويخلط الفرنسية بالعربية كلما ضاع منة المعنى العربى، يرتعش وهو يتحدث فى حيوية وهو ضخم الجثة نوع يقول عنة العقاد (يرى ماشيا كانة راكبا)!!..ينتقل بى من سرالرئيس "فرانسو ميتران" الذى اكتشف له خليلة عرفها من عشرين عاما وانجب منها طفلة؟.الى اليمنى "حسان التعلبى" الذى جاء معه بالقات! ولكنة لايجد وقت "القيلولة" الحار "للتخزين" فاضربت احوالة؟!إلى الصراع على الجزائر بين الشيوخ والجنرالات(ديسمبر ١٩٩١- يناير١٩٩٢)؟!وكيف هرب من الموت هناك، تجرأت وقاطعتةفى دعابة لماذا لم تقتل الفرنسية.؟؟قال: تقصد "دانيل" انها رائعة انها ليست سجاح؟! دانيل مخلصة،وجادة،فى بحثهاوقد قلت لها ببساطة فى الحجاب" الشيطان هدفه دائما تعرية الانسان وكشف سوءته والتي تجلت ببراعة مع ابيناآادم عندما غواه وافهمه ان الشجرة التي منعه ربه من الاقتراب منها في الجنة التي وهبه اياها شجرة الخلد ولم يكن منع ربه منها سوي اختبار له لاختبار قابليته وقدرته علي الالتزام والصبر ودفعآادم ثمن خطيئته وعصيانه لربه وانصاته لهذا الشيطان المريد هو وامنا حواء بمجرد اقترابه واقراره بالاكل من شجرة الخلد وانكشفت سوءاتهماومن هول هذه الصدمة عليهما طفقا يخسفان عليهما من ورق الشجر ليسترا به عوراتهما .وهذا المعنى فى الديانات الثلاثة.ونزلآادم وحواء الي الحياة الدنيا بعد ان كانا في الجنة وتلك الجنة لم تكن جنة النعيم التي وعد الله بها عباده الصالحين في الحياة الاخرة؟! وانما هي جنة خلقت لهما وتختلف عن جنة النعيم؟ وهكذا بدات اللعبة بين بني ادم وبين الشيطان الرجيم الذي تجلت اهدافه في كشف عورة بني ادم وتعريتهم فالنفس البشرية النقية تكره العري والتمثيل بالجسد في شتي صوره والشيطان قد وصل الي نقطةالضعف؟!) و لكن قولى من سجاح آهى الجسد المريح بفرنسا يارجل! شخط ولمعت عيناه وهوقال:انت لا تعرف الفرنسية ولا العربية ولاتقرأ...الا تعرف حكاية "سجاح بنت سويد" .المراة التى ادعت النبوة فى اليمامة مثلما ادعى النبوة (مسيلمة بن حبيب) المعروف ب"الكذاب" فى بنى تميم .. في اوقات "حروب الردة" زمن خلافة ابو بكر الصديق زعمت سجاح أن الوحى زارها ونزل

عليها بالنبوة فتردد أهلها فى تصديقها ..وإن كان بينهم من أقتنع بها وسار خلفها ..وحين سمع مسيلمة بحكاية سجاح أزعجه جدا أن تقاسمة امرأة النبوة وتشاركة إياها فتدبر الأمر مع رفاقة الذين أشاروا بأن يجتمع معها وينظرفى أمرها، فأجتمع الإثنان فى خيمة بقى خارجها أنصار كل منهما ولم يدخها إلا مسيلمة وسجاح فشلح لها سرواله وقال لها: " ألم تر أن الله خلقنا أفواجا .. وجعل النساء لنا أزواجا .. نولج فيهن إذا شئنا إيلاجا ونخرج منهن إذا شئنا إخراجا ".فضحكت سجاح ولم تصفعه؟! وقبلت دعوة مسيلمة الى الفراش، الذى كان قد أعده داخل الخيمة..فأشبع رغبتها وأسعدها وأرادت البقاء معه كزوجة مقابل أن تتنازل له عن النبوة؟! فخرج الإثنان من الخيمة وخطب مسيلمة سجاح من قومها ،وحين سألوه عن المهرقال لهم : قد أعفيتكم من صلاة العصر!!

دخلنا معا المحاضرة كانت عن الحالات التى تحتاج لقوانين جديدة؟!كان البرفيسورساجان يطلب منا المشاركة وإستلهام الحلول مستفيدا من تعدد جنسيات الدارسين،وتعدد القوانين قال بمرح :المرأة تقلب علينالمنضدة..منضدة القانون،واحيانا منضدة الفضيلة...اماكيف؟ فهذا ما سنعرفه..وعلينا ان نجد حلا؟ فهى تريد ان تكون أما..باى شكل وباى علاج رضى القانون او سخط ،اتسعت رحمة الدينأاوانفتحت ابواب جهنم.فبعد حريتها الجنسية،إصطدمت بحاجتها البولوجية للأمومة؟!وعرض حالات تحدثت عنها الصحف الفرنسية: كورين(٢٢سنة): أرملة لضابط فرنسي أحبته ثلاث سنوات وفجأة اكتشف "انه مصاب بالسرطان فى البروستاتا" وكان لابد من استئصالها لقد أصبح عاجزاًعن الإنجاب،ولما كان قبل ذلك يقوم ببعث حيواناته المنوية إلى احد المراكز الطبيةبإنتظام ليعرف سبب عدم إنجابه قبل اكتشافه المرض.فبعد موته لجأت أرملته كوين (٢٢ سنة) إلى المحكمة تطلب إسترجاع هذه الحيوانات المنوية وإنها من حقها، ولان المركز الطبي رفض إن يسلمها هذه الحيوانات لان الفقيد لم يوصى بها لأحد؟!ولكن حكمت لها بذلك احد محاكم باريس وحصلت على الحيوانات الخاصة بزوجها وبدأت تفكر فى الإنجاب بالتلقيح الصناعي من هذه الحيوانات؟! ووجدت الحكومة الفرنسية نفسها محرجة؟ فلاهي تستطيع إن تمنعها من هذه العملية ولا تستطيع ان تخرج على قانونها الذي ينص على "انه بعد وفاة الأب بثلاثمائة، يوم أذا أنجبت زوجته اعتبر الابن غير شرعي "ولازالت هي تحوزالمنى وتهدد به الجميع وترى ان امومتها أهم،وتقول ماذا أفعل تأخرت قضيتى بين المركز الطبى

والمحاكم اكثر من ثلثمائةيوم أعلن رجل أنة فى حاجه إلى أم تقبل ان تحمل منه عن طريق التلقيح الصناعي، ولها مكافأة مالية كبيرة إذا وافقت،ومكافأة أكثر إذا حملت وإذا ولدت وأعطته هذا الطفل ليسعد به هو وزوجته؟! كانت لهذا الرجل زوجة قد أجهضت مرتين ثم اتفق الزوجان على ان يكون لهما طفل عن طريق التلقيح الصناعى بواسطة امرأة أخرى- وجاء الرد بموافقة سيدة تعمل فى هيئة طبية لتحديد النسل ومتزوجة!حملت صناعيا وولدت وعندما تقدم الأب البيولوجي للام الوالدة بالنيابة رفضت ان تعطيه الطفل؟ فهي أمه وقالت هذه إلام فى المحكمة عندما فكرت فى الحمل كان دافعي إنسانيا ولكن بعد ان حملت شعرت بلذة الحمل وولدت وشعرت بالآم الوضع وعندما رأيت الطفل أحببته فهو ابني ولن أعطية لاحد والقانون لايعرف إلا أبا واحدا فهو الأب الشرعي وليس الأب البولوجى فالطفل إذن ابن هذه السيدة وزوجها. وقد طلبت المحكمة من الام ان تسمح بإرسال بعض الصور للطفل لوالده البولوجى . والأب الشرعي ليس راضيا تماما عن هذا الطفل،رغم قبوله اموال الأب البيولوجى وإنفاقها؟ . والأب البولوجى تعيس تماما لهذه المأساة .ولكن إلام الحامل بالنيابة هي إلام الحقيقية. إما الزوجة الأخرى فلا تزال تفكر فى الأمومة؟! هنا إنشقت الارض ووصل ابو رحاب لمنصة البروفيسر وقال عندى الحل ولكن قبولة يعنى أن فرنسا لا تجد حرجاً من إعمال الشريعة الإسلامية ؟! وتكهرب الجو،وسمح البروفيسر له أن يقدمه مكتوباً ففرنسا العلمانية لاتسمح بذلك داخل الجامعات؟!

-٤

وصلت لباب الْبنايَة نظرت كما تعودت على صندوق الخطابات لعل أحدًا من الْمحروسَة يرسل بخبر، وجدت خطابا غريبا بخط عربي على مظروفه، الْحروف بدون همزات!! أفتحه..وأقرأ : جَمَلي الْجميل.

من: هرهورَة (جنوب الرِّباط) على شاطئ "كازينو الساحر" هَذَا الشّاطئ يقصدنه النِّساء مُنْذُ الزمن الْقديم، يأتين ليُغطسن أجسادهن السمينَة سبع مرات فِي موجات سبع طلبا للزواج، أو رغبَة فِي الإنجاب السريع. ؟ ! أنا هُنَاكَ حيث الْحياَة بلون الْبحر. الأحباب دوما بين أحضان الْوجدان وعلى جدران الذاكرَة لوحات جميلَة لا يأتي عَلَيْهَا

غبار النِّسيان. . أحبك. . وأُقَبِّل مفاتنك الْمتردِّدَة، ذكرياتي معك تكفيني، وتعصمني من فتنَة الرِّجَال فيما بقي من الْعمر!! فكم كنت نبيلا، حين خفت على عذريتي وقت الذروَة. هَذَا إحساس نادر فِي الْعشق. كشفت سري ولكن أتحبني رغم ما كان؟ ! لأني أحرص على هَذَا الْحب الَّذِي نتائجه مستحيلَة. أحكي قصتي: سبق لِي أن أُجْهضت! كان الْفاعل من الْمحارم؟ ! كسر قلتي !! وبالتّالي لم يكن الْحل الزَّوَاج، إنك لا تعرف كيف تم الأمر معي؟ ماذا فعل الرِّجَال والنساء، كيف تجد الْكراهية باسم التّبرك بالدين، لقد حرمت بسبب الْقسوَة والجهل والخوف والسرية من أن أكون أُمًّا فِي الْمستقبل؟! اجتمع عليَّ نساء الْقبيلَة بخبرتهم الْجاهلية فِي إسقاط أنثى اعتبروها عاهرَة، فأسقطوها للأبد. الإجهاض * إذا لم نجعله أمنا فإننا نجعل الْمشكلَة مضاعفَة

---

* نظرية الْمنع الْمطلق للإجهاض هِيَ رأي قديم به نادى الْفاتيكان وبه ينادي الْمسلمون. . فهو يرى أنه لا إجهاض ولا إباحة له تحت أي خطر. . ولا يمكن إيقاف إرادَة الله الْعظمى على الأرض. ويبدو أنه الْوضع الْقانوني الْمستقر فِي (مصر) م٢٦١: كل من أسقط امرأَة حبلى بإعطائها أدوية أو باستعمال وسائل مؤدية إلى ذَلِكَ سواء أكان برضاها أم لا يعاقب بالْحبس.

م ٢٦٢: الْمرأَة الَّتِي رضيت بتعاطي الأدوية مَعَ علمها بهَا أو رضيت بتعاطي الأدوية الْمسببَة لإسقاط الْحمل تعاقب بالْحبس.

= وتحت إلْحاح الْواقع أيهما أفضل: الإجهاض أم ترك الطفل بعد ولادته على باب ملجأ؟ أيهما أفضل الإجهاض أم الْولادَة وبيع الطفل غير الْمرغوب فيه ليكون قطع غيار لأجساد الأغنياء أو الْعمل فِي الخدمَة بالْمنازل مجانًا؟

ماذا نفعل فِي ابن الزنا؟ ! وما تفسير ما جاء فِي سفر التّثنية " لا يدخل ابن زنا فِي جماعَة الرَّب حتَّى الْجيل الْعاشر لا يدخل منه أحد فِي جماعَة الرَّب " تثنيَة- ١: ٢.

سادت نظرية الإجهاض الاحتياطي الَّتِي تقوم على أساس أنه لا يمنع الإجهاض مطلقًا وإنما يقبل احتياطيا فِي (حالات الابن غير الْمرغوب فيه) مثل الاغتصاب (عدم معرفَة الأب)، تجربَة الْمراهقَة الأولى، الْجنس بالاضطهاد فِي حالات الْحروب،

وفي هذه الْحالات لا بد أن يتم الإجهاض فِي مستشفى مجهزَة لذلك وتحت إشراف طبي، غير سري لضمان سلامَة الْمرأَة وعدم تعرضها للخطر أو الابتزاز، ولكن أهمية النَّظرية أنها ترد الأمر لأصحاب الْقرار، إنها تعلن أنها ضد الإجهاض الهندي (فِي الهند تقوم الدولَة نفسها بإسقاط الْجنين إذا كان أنثى تحت مقولَة أنثى واحدَة فِي الأسرَة تكفي) والإجهاض السياسي: حيث تقوم الدُّول فِي حالَة الْحرب بإجهاض النِّساء الأسرى. . . وفي وقت السلم تجعل الإجهاض وسيلَة إجبارية لتنظيم الأسرَة.

فبدلًا من التّضحية بجنين غير مرغوب سنضحي بامرأَة فالإجهاض غير الآمن مشكلَة حميمية أفقدتني الأمومَة. ولا ينبغي أن تخاطر النِّساء بحياتهن وصحتهن وإننا علينا ألا نكون كالنعامَة ونضع رؤوسنا فِي الرِّمال فعندنا عدَّة إحصائيات ٢٠٠٠ طفل لقيط يُعْثَر عليهم فِي شوارع الْمغرب سنويًا!! أهذا يكفي؟ كيف تحافظ على ذكراي مَعَ كل سيجارَة مينتول فتشمني برائحَة النَّعناع! لعلك تسأل نفسك كيف تركت هذه الْمجنونَة فرنسا الآن؟ حلم الهجرَة، الْمعادلَة الْقانونية للعمل فِي بلاد الْجن والْملائكَة كما تقول، كنت أهرب من الخوف، أمَّا الآن فقد دخل الخوف بيتي حطَّم ما بقي من أسرتي،سجنوا أخي فِي قضية رأي سياسيَّة أعود للبعبع، لخوفي، لما هربت منه، أعود وأنا أعلم أني أنتحر ولكنه سيكون موتا جميلا؟ ! سأحارب معركَة أخي بالقانون بسلاحي الَّذِي أعرفه فهل ممكن أن انتصر!" فأحبني حتَّى أقتل خوفي،

فدعوَة الْمحبين مثلك لا يردها الله فلا تسئ بي الظن، فمعك كانت صحتي، فالْحب كالصحَة يهون فِي الْوصال ويعز فِي الْفراق. كم كنت نبيلا،حين خفت على عذريتي وقت الذروَة. هَذَا إحساس نادر فِي الْعشق، ولكني.يا أغلى النَّاس أحبك للأبد. "زبيدَة"

المؤلف فى سطور

- الاسم : اشرف مصطفي توفيق محمد - وشهرته اشرف توفيق
- العنوان:١٧ شارع احمد حسني –رابعة العدوية- مدينة نصرالبريد الاليكتروني :Ashraftawfik11@gmail.com
- التليفونات : ٠٢٢٤٠٤٦٧٤٦- ٠١٢٢٣٤٦٧٥٧١
- الجنسية :مصرى
- حاصل على الدبلوم العالي للدراسات الإسلامية بامتياز وكان ترتيبه "الاول" ١٩٨٤م حاصل على ماجستير قانون ١٩٨٨م ، عضو أتحاد الكتاب ١٩٩٥، عضو أتيليه القاهرة١٩٩٩ نشر عده كتب أهمها : ساء الملك فاروق(٣ طبعات)،جرائم المرأة"العام السري للنساء" جزئيين (طبعتين)– المعارضة (جزئيين) - إعترافات نساء أديبات- اشهر قصص الغرام - وقيدت ضد مجهول- وعدة كتب فى القانون،
- .حاصل على جائزة سعاد الصباح للدراسات الإنسانية ١٩٨٩م عن كتاب: (المعارضة)،
- حاصل على جائزة يوسف السباعى للمقال الأدبى ثلاث مرات،سنوات: ١٩٨٨- ١٩٩١- ١٩٩٣